د.جورج حبش

استحقاقات الراهن والافق القادم





د.جورج حبش

استحقاقات الراهن والأفق القادم



مقدمة

في هذه الحوارات الثلاثة يلقي الرفيق الدكتور جورج حبش أضواء على الواقع الفلسطيني اليوم، والمسائل القريبة منه والمؤثرة عليه، عربية ودولية، بدءاً بما يدعى عملية السلام الراهنة.وقضايا الانتفاضة، وصولاً إلى الاجتهادات السياسية الفلسطينية المختلفة، ولا تصدر أهمية هذه الأفكار عن خبرة الرفيق حبش المتراكمة فقط، بقدر ما تأتي عن الضباب والارتباك المحوّم على واقعنا اليوم.

نلمس في هذا الحوار إنارة وتحريضاً، حيث الإنارة تشرح الوقائع بلا أوهام، والتحريض دعوة سافرة إلى تأمل الواقع الراهن والتأثير الكفاحي عليه، من أجل فتح أفق جديد للنضال الفلسطيني في بعديه الوطني والقومي...

تحرير فلسطين أمر حتمي ـ وتناقضنا مع الاحتلال لا يسوّى إلا بالتحرير

☆ اجرى الحوار طلال أحمد ـ مجلة الهدف (عدد خاص)
العدد ١١٣٠ ١٩٩٢/١٢/٢٧

الواقع الراهن ... الطموح والمسؤولية ؟

■ تحتفل الجبهة الشعبية هذه الأيام بالذكرى الخامسة والعشرين لتأسيسها وقد واكبت أنت ، من موقع القيادة الأول ، حركة الجبهة الشعبية ، والثورة ومخاضاتها منذ النشأة وحتى الآن . هل ما تراه اليوم هو ما كنت تطمح إليه يوم التأسيس وما هي الانجازات التي حققتها الجبهة خلال هذه المسيرة ؟

■ ■ في هذه اللحظات ، وعندما يقف الانسان لإلقاء نظرة شاملة وسريعة على شريط التاريخ الذي يمتد على مدار أكثر من ربع قرن من عمر الثورة الفلسطينية

المعاصرة ، وفي القلب منها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فإن المتمعن جيداً في هذا التاريخ ستتجسد أمام عينيه جملة من الحقائق والدروس الهامة ، ستتجسد أمام عينيه كل تلك المعارك الكبرى والقاسية التي خاضها شعبنا وثورته ، المعارك والمؤامرات التي تعرضنا لها في الأردن أواخر الستينات وخلال مجازر أيلول المعروفة ، ومن ثم الصراع الذي خضناه على الساحة اللبنانية ، والحرب الضروس التي شنها العدو الصهيوني ضد الثورة الفلسطينية وضد الشعبين اللبناني والفلسطيني مستخدماً كل ما يملك من أسلحة وتفوق عسكري لسحق المقاومة والتنكيل بالجماهير ، يمر في الذهن اجتياح الجنوب عام ٧٨ ، وحرب ٨٢ الواسعة النطاق ، تمر في الذهن حروب المخيمات ، تمر في الذهن اتفاقيات كامب ديفيد الخيانية ، وهكذا سيجد الانسان نفسه أمام شريط لا يتوقف من الصراع ، والحروب ، والشهداء ، والجرحى ، والأسرى شريط لا يتوقف من المخططات المعادية التي تستهدف شعبنا وثورته وقضيته وقواه الوطنية ، وآخر عناوين هذه المخططات ما نشاهده الآن من محاولات لفرض المشروع الأمريكي — الصهيوني التصفوي الذي ابتدأ فصوله في مؤتمر مدريد منذ أكثر من عام ولا تزال تتوالى حتى هذه اللحظة .

عندما يستذكر الانسان كل هذه الوقائع والحقائق ، لا بد وأن يدرك حجم التحديات والتضحيات التي مر بها شعبنا ، ولهذا فإن الانسان وبالرغم من كل الثغرات والسلبيات والأخطاء التي رافقت هذه المسيرة النضالية الفذّة ، لا بد وأن يشعر بالفخر والاعتزاز لقدرة شعبنا وطلائعه المكافحة على الصمود والاستمرار بالنضال ، إن ما تعرضنا له على مدار ربع القرن الماضي كبير وخطير ، ولهذا فإن الصمود ، مجرد الصمود ، هو بحد ذاته انجاز لا يجوز الاستهانة أو الاستخفاف به .

ولكن بعد كل ذلك لا يجوز التوقف عند نقطة الاعتزاز والفخر فقط ، فبالرغم من ادراكي جيداً وبعمق لحجم ما مر علينا من مؤامرات وحروب ، وما يحيط بقضيتنا من صعوبات كبيرة ومن إختلال عميق في ميزان القوى لصالح معسكر الأعداء ، بعد كل ذلك فإنني لا أشعر بالرضى للوضع الذي نحن فيه الآن كثورة فلسطينية وكجبهة

شعبيـة ، لأن المحصـلة ، في النهاية وبمعزل عن أي تحليل قد ينشأ ، هي أن الثورة الفلسطينيـة والشعب الفلسطيني يعيشان الآن أصعب الظروف . وأخطر حالات التراجع .

لهذا فإن ما أراه اليوم لا يمكن أن يكون هو ما كنت أطمح إليه عند تأسيس الجبهة الشعبية ، وحتى أكون صريحاً مع نفسي ومع الجماهير الفلسطينية والعربية ، فإن ما أراه اليوم ربما يكون بعكس ما كنت أتوقعه وأطمح إليه بعد مضي ٢٧ عاماً على انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة .

هذا ما أشعر به الآن بصورة سريعة ومكثفة غير أن الأمور يجب أن لا تقف عند هذه الحدود العامة العفوية والمقتضبة ، دعونا نحاكم الأمور بشكل علمي وموضوعي وببعض التروي .

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لم تكن تتصور في يوم من الأيام ، بأن مهمة التحرير يمكن أن تتحقق في بضع سنوات ، أي على غرار ما جرى في الأقطار العربية الأخرى ، وليس حتى كما جرى في اليمن الجنوبي أو الجزائر ، حيث تحقق الاستقلال بصورة سريعة نسبياً عن طريق الكفاح المسلح كشكل حاسم في مجابهة الإستعمار .

إنَّ الجبهة الشعبية ومنذ البداية كانت لها رؤية واضحة لخصوصية وفرادة القضية الفلسطينية ، تلك الفرادة النابعة من طبيعة وجوهر العدو الذي يجابهه الشعب الفلسطيني متمثلاً باسرائيل المرتبطة عضوياً مع الحركة الصهيونية والتي بدورها متلاحمة عضوياً مع الامبريالية العالمية وخاصة الأمريكية ، في سياق تشابك واسع للمصالح الاستراتيجية لهذا المعسكر .

إن « اسرائيل » هي التجسيد المادي للمشروع الصهيوني ، هذا المشروع الذي يستند إلى عقائد وايديولوجيا وتمارسه مغرقة في رجعيتها وفاشيتها ، كل ذلك تجلى بصورة مباشرة في اقتلاع وتشريد شعبنا وتدمير مدنه وقراه ومقدساته ، واستقدام مهاجرين يهود من كافة أصقاع العالم للعيش في فلسطين ، ونهب ثرواتها المادية والتراثية والطبيعية .

كما أن الجبهة الشعبية كانت لها أيضاً رؤية خاصة وواضحة لقوى الثورة الفلسطينية ضمن خصوصية الشتات الفلسطيني كما كانت لها رؤيتها الخاصة والعلمية لترابط البعد الوطني للقضيـة الفلسطينية ببعدها القومي كعامل أساسي في مجرى الصراع العربي الصهيوني ، وفي ذات الاطار وضمن هذا التشابك المعقد لأبعاد القضية الفلسطينية ، طرحت الجبهة الشعبية رؤيتها لأشكال وأساليب المواجهة المنسجمة والمتلائمة مع الواقع القائم في صيرورته وحركته الذاتية الموضوعية .

إنَّ هذه الرؤية وغيرها من المسائل الأساسية حددتها الجبهة الشعبية في المؤتمر الوطني الثاني للجبهة المنعقد في شباط ١٩٦٩ ، والذي صدرت عنه (الاستراتيجية السياسية والتنظيمية) .

إنَّ هذه الرؤية العلمية والموضوعية هي التي جعلت الجبهة الشعبية ترى بأن مهمة تحرير فلسطين ستكون في غاية الصعوبة والتعقيد ، وبالتالي فلا يمكن أن تتحقق خلال سنوات معدودة ، إن هذه الرؤية حكمت ولا تزال تحكم ممارسة الجبهة الشعبية السياسية والجماهيرية والتنظيمية والكفاحية وعلى مختلف المستويات من على قاعدة التمسك بالحقوق الوطنية الفلسطينية المرحلية والاستراتيجية والاصرار على مجابهة المشروع الصهيوني كمشروع نقيض تاريخياً للمشروع الوطني الفلسطيني .

ضمن هذا السياق الموضوعي والعلمي ، وبعيداً عن الانفعال والعاطفة ، يأتي حديثي المتعلق بمقاييس البقاء والصمود واستمرار الفعل الذي يبقي على شعلة الكفاح والتصادم مع العدو مرفوعة ، وعلى هذا الأساس فإنه يحق لنا كشعب وكقوى وطنية أن نرى الأمور من هذه الزاوية ، أي زاوية الصمود والفعل والتأثير ، وخاصة إذا ما استعدنا جميع المعارك والحروب الشرسة التي خاضها معسكر الأعداء للقضاء على الثورة وسحقها وتدمير المشروع الوطني الفلسطيني بصورة نهائية .

■ **هذا بصورة مكثفة على الصعيد العام ، فماذا بالنسبة للجبهة الشعبية ؟**

■ ■ إن الجبهة الشعبية كقطب رئيسي وفاعل في م.ت.ف والثورة الفلسطينية من الطبيعي أن تتأثر بكل المنعطفات والمخاضات والحروب التي مرّ بها الشعب الفلسطيني والثورة الفلسطينية وم.ت.ف .

وعليه فإن كافة الانجازات التي حققها الشعب الفلسطيني وم.ت.ف كان للجبهة الشعبية وبكل تواضع اسهامات رئيسية فيها ، هذه الحقيقة لا يجوز أن تغيب عن البال لحظة واحدة بالرغم من اللحظة السياسية المظلمة والخطرة التي تعيشها « م.ت.ف » الآن .

فمنظمة التحرير الفلسطينية هي التي أعادت للشعب الفلسطيني هويته وشخصيته ووحدته ، وهي التي حددت وبلورت أهدافه ، المرحلية والاستراتيجية في سياق عملية نضالية دؤوبة ومتواصلة ، قدمت خلالها أغلى الدماء وأكبر التضحيات فالشعب الفلسطيني وعلى أساس نضاله البطولي استطاع أن يفرض نفسه على المجتمع الدولي كشعب مكافح من الطراز الرفيع ، رغم كل المحاولات التي بذلها معسكر الأعداء لتمزيق هذا الشعب ، وتحويل قضيته من قضية شعب مناضل في سبيل وطنه وحريته وكرامته إلى قضية لا تتعدى الاطار الانساني لمجموعات من اللاجئين . وقد تجلى هذا الانجاز الكبير عبر اعتراف الأغلبية الساحقة من شعوب وحكومات العالم بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية ، وبجملة من القرارات الصادرة عن الهيئات الدولية (مجلس الأمن والأمم المتحدة ، ودول عدم الانحياز ، والدول الاسلامية ، والقمة الافريقية) تلك القرارات التي تؤكد بوضوح على: حق العودة وتقرير المصير والدولة الفلسطينية المستقلة ، وتعترف بـ « م.ت.ف » كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وتقر للشعب الفلسطيني بالحق في مقارعة الاحتلال ومقاومته بكل الوسائل ، وتؤكد على عدم شرعية الاحتلال الصهيوني للضفة والقطاع بما في ذلك القدس ... إلى آخر ما هنالك من قرارات عديدة .

لنتذكر جميعاً مسيرة الجبهة الشعبية ، يجب في مثل هذه المناسبات أن نقف لنستعيد تجارب الماضي وأن نعيد قراءتها بروية وامعان ، أن الجبهة الشعبية تحظى في أوساط الجماهير الفلسطينية والعربية بالاحترام ، وهذا الاحترام يعود للمكانة والرؤية التي تمثلها الجبهة الشعبية وطنياً وقومياً ، كما أنه يعود إلى الدور الفعال والنشط الذي مثله في مسار النضال الوطني وبفعل ما تميزت به على صعيد فكرها السياسي ورؤيتها السياسية وهذا ما أشرت له في السياق. كما أنها تميزت في الممارسة النضالية (نضالها في الوطن المحتل ، ومجابهتها البطولية والعنيفة للاحتلال: تجربة الرفيق جيفارا غزة ، والرفيق أبو منصور ، موقفها المميز والواضح ، أثناء تواجد الثورة في الأردن وطرحها المتقدم لمسألة الحركة الوطنية الأردنية وأن لا تكون الثورة الفلسطينية بديلاً عنها ـــ دورها البارز في مجابهة الاجتياح الصهيوني في آذار عام ٧٨ ـــ رؤيتها العلمية والسليمة للعلاقة مع الحركة الوطنية اللبنانية ـــ الصمود والتصدي الباسل خلال الغزو الصهيوني للبنان عام ٨٢ ورفعها لشعار بيروت ـــ ستالينغراد ـــ الدور المبادر في انشاء حركة المقاومة الوطنية اللبنانية ـــ دور الجبهة الشعبية الطليعي والريادي في الانتفاضة الفلسطينية الشعبية ، وما تمثله منظمة الجبهة الشعبية في الوطن المحتل من تجربة تنظيمية وكفاحية وجماهيرية مميزة ، وقدرة على الصمود الأسطوري لرفاقنا وكادراتنا في مواجهة الحملات الاعتقالية وهزيمة أجهزة المخابرات الصهيونية في الكثير من المواجهات) .

إضافة لكل ما تقدم فإن الجبهة الشعبية مثلت وعلى مدار الربع قرن المنصرم التيار الوطني الديمقراطي في حركة التحرر الوطني الفلسطيني ، وشكلت باستمرار قوة التصدي والمجابهة الرئيسية لكل المشاريع السياسية التي كانت تستهدف ضرب القضية الوطنية ، كما أنها مثلت قوة المجابهة لأية انحرافات من قبل القيادة المتنفذة في م.ت.ف عن برامج الاجماع الوطني ، لقد بقيت الجبهة الشعبية أمينة باستمرار لبرنامج م.ت.ف الوطني التحرري ... باختصار وبدون مبالغة فإن الجبهة الشعبية تمثل في الساحة الفلسطينية والعربية مدرسة متميزة في النضال .

■ إلا أننا ونحن نرى هذه الانجازات ، وهذه الصورة فإننا يجب أن نرى أيضاً الثغرات

والسلبيات والأخطاء التي وقعنا بها ، إننا بالقدر الذي نعتز فيه بنضالات الجبهة الشعبية وبتاريخها وبانجازاتها وبقدرتها على الصمود والتطور ، وبقدرتها على ممارسة النقد الذاتي بكل صراحة وعلانية بنفس القدر وبكل صراحة أقول بأنني لست راضياً عن واقعنا الراهن . وكان بالامكان أن نكون في وضع أفضل مما نحن عليه .

إننا في الوقت الذي نتميز فيه برؤية سياسية فكرية كفاحية تنظيمية سلوكية معبر عنها في وثائق مؤتمراتنا الوطنية وأدبياتنا ، إلا أن هناك مسافة ليست قصيرة تفصل ما بين هذه الرؤية النظرية ، وبين الممارسة العملية اليومية ، وهذا أمر في غاية الخطورة والأهمية ، ويجب الامساك به لتحليل أسبابه وعناصره بهدف ردم هذه المسافة .

لقد طرحنا كجبهة شعبية في استراتيجيتنا مسألة قواعد الارتكاز في بعض دول الطوق إلا اننا كجبهة شعبية وكثورة ككل لم ننجح في تحقيق ذلك ، بالرغم من أهمية واستراتيجية هذه الرؤية .

وهناك أيضاً مسألة حشد وتعبئة الجماهير الفلسطينية في الشتات ، فبالرغم من خصوصية واقع كل تجمع من تجمعات شعبنا ، وبالرغم من صعوبة الظروف الموضوعية ، إلا اننا لم نستطع حشد هذه الجماهير وتأطيرها وتعبئتها بالقدر وبالصورة التي نطمح إليها ، ونفس الشيء يمكن أن نسجله على صعيد مقاتلة العدو وإيقاع الخسائر البشرية والاقتصادية في صفوفه ، إذ إننا في الوقت الذي نطرح فيه خطاً كفاحياً عنفياً صحيحاً ومتميزاً غير اننا لم نبرر هذا الطرح بما يكفي في الممارسة في السنوات الأخيرة ، وهناك العديد من العناوين التفصيلية التي يمكن ايرادها في هذا الاطار .

وبالمجمل فإن خطورة المرحلة التي تعيشها الثورة الفلسطينية الآن ، والتي لم يعشها النضال الوطني الفلسطيني منذ الغزوة الصهيونية على أرض فلسطين ، تعود في بعض جوانبها إلى عوامل موضوعية معروفة ، إلا أن العوامل الذاتية تحظى بمكانة وثقل كبيرين ، وهذا ما يجعلنا نؤكد انه ليس بالضرورة أن يكون حتمياً وصول الثورة الفلسطينية المعاصرة إلى الوضع الصعب الذي تمر فيه الآن .

إنّ هذه المرحلة الخطيرة التي وصلنا إليها ، متمثلة بالانخراط في مشاريع التصفية الامريكية ـ الصهيونية الراهنة التي ابتدأت منذ مؤتمر مدريد ، وما سبق ذلك من تراجعات وتنازلات مجانية [السياسة التي اتبعتها القيادة المتنفذة بعد الخروج من بيروت ـ اتفاق عمان ، كيفية التعامل مع الانتفاضة ... الخ] ، تتحمل المسؤولية الأساسية عنها القيادة المتنفذة في « م.ت.ف » . إننا ونحن نرى حجم هذه المسؤولية وتجلياتها ، فإننا في ذات الوقت لا نعفي أنفسنا كجبهة شعبية من تحمل قسطنا من هذه المسؤولية ، فلو كانت فاعليتنا أكبر وحضورنا النضالي أعلى وبنيتنا التنظيمية أكثر قوة ، لكانت قدرتنا على كبح جماح القيادة المتنفذة أكبر وأشد . بطبيعة الحال ان مجابهة الانحدار البرجوازي الفلسطيني ليست مسؤولية الجبهة الشعبية وحدها ، بل هي مسؤولية كل القوى الوطنية الديمقراطية الفلسطينية ، وعليه فإنها تتحمل هي أيضاً جزءاً من المسؤولية بمعنى ، اننا لم نستطع كقوى وطنية ديمقراطية أن نبني البديل الثوري الفعال والحاسم لقيادة النضال الوطني الفلسطيني والقادر على تحقيق برنامج الاجماع الوطني .

وفي النهاية هناك انجازات كبرى يجب رؤيتها وهناك أيضاً اخفاقات سواء على الصعيد الوطني أم على صعيد الجبهة الشعبية ، نحن راضون عن بعض الجوانب ، ونعبر عن عدم رضانا وسخطنا عن جوانب أخرى ، بعضها يطال البعد الوطني وبعضها متعلق بأدائنا ، كجبهة شعبية ، وما دام المقياس الحاسم في النهاية هو مدى قدرتنا على تحقيق طموحات شعبنا وحقوقه الوطنية ، وما دامت الأمور قد سارت نحو وضع أسوأ على هذا الصعيد بحيث هبطت البرجوازية بالحقوق الوطنية وبالانجازات الوطنية إلى مستوى الحكم الاداري الذاتي ، إذن فإن المحصلة النهائية هي عدم الرضى عن الواقع الذي نحن فيه ، مع ضرورة رؤية الأمور بشموليتها وصيرورتها وبآفاقها المستقبلية ، فالأمور لن تتجمد عند اللحظة الراهنة .

مظاهر التشاؤم ... ومظاهر التفاؤل

■ هل ما زال شعار تحرير فلسطين عملياً وممكناً ، أم أصبح من أحلام الماضي ، على ضوء المتغيرات العاصفة عالمياً وعربياً وفلسطينياً ؟

■■ بالرغم من كل الظروف والتطورات التي نعيشها في هذه المرحلة التراجعية الصعبة المؤلمة ، فإن جوابي الحاسم هو : إن تحرير فلسطين أمر حتمي ، وهذه القناعة الراسخة ليست مجرد عواطف وأمنيات لانسان يتشوق للعودة إلى وطنه ، بل هي قناعة مبنية على رؤية علمية ، هذا ما ستؤكده الحياة في قادم السنين . لماذا أتحدث بهذا الجزم والحزم ؟

أولاً:

لأن الكيان الصهيوني وبالرغم من مرور أكثر من أربعين عاماً على انشائه بمساعدة الدول الامبريالية الغربية ، وبالرغم من كل مقومات القوة العسكرية والاقتصادية التي يمتلكها ، فإنه لا يتعدى كونه جسماً استعمارياً مصطنعاً وغريباً زرع بالقوة في قلب العالم العربي ، وتؤكد الوقائع والأحداث وبشكل ملموس كل يوم على أن هذا الكيان يتناقض بصورة جذرية ومطلقة ، مع مصالح وطموحات وأهداف الشعب الفلسطيني ، وجماهير الأمة العربية ، فهو عنوان سافر للقهر والاذلال القومي ، كما ويشكل عنواناً لتحدي كل المشاعر القومية والتاريخية والحضارية للأمة العربية ، ليس هذا فحسب بل وان المشروع الصهيوني وبالرغم من الشوط والانجازات التي حققها ، فإنه يهيئ نفسه ، ومن كافة الجوانب ،، لفرض الهيمنة الشاملة العسكرية والاقتصادية وباسناد مباشر من أعتى الدوائر الامبريالية في العالم ، على منطقة الشرق الأوسط ، هذا ما تعبر عنه مقولات « اسرائيل الكبرى » و « ضمان التفوق العسكري والاستراتيجي لاسرائيل على البلدان العربية مجتمعة » و « ضرورة تطبيع العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية

مع اسرائيل » ، إلى آخر ما هنالك من مطامح توسعية جغرافياً واقتصادياً يخطط لها الكيان الصهيوني مستقبلاً .

ثانياً:

موقف الشعب الفلسطيني المناهض والرافض بصورة جذرية للمشروع الصهيوني من جهة والمتمسك بصورة حازمة بالحقوق الوطنية المرحلية والاستراتيجية في فلسطين من جهة أخرى . إن هذا الرفض الجماهيري الواضح والذي تكرس وتجذر على مر السنين ، ومنذ أول مستوطنة صهيونية على أرض فلسطين لم يكن رفضاً سلبياً لفظياً ، وإنما استند إلى ممارسة نضالية شاملة ومتواصلة قدم خلالها الشعب الفلسطيني مئات الألوف من الشهداء والجرحى والأسرى ، وتشرد الملايين من بيوتهم وقراهم ومدنهم ، ويعيشون الآن في مخيمات البؤس والشتات والثورة ، ان شعباً يواجه مثل هذا العدو ويملك مثل هذا التاريخ الكفاحي ، وهذا الحجم من التضحيات الغالية والجسيمة ، ومؤمن بصورة مطلقة بعدالة نضاله وقضيته ، لا يمكن إلاّ أن ينتصر في نهاية المطاف .

ثالثاً:

امكانات الأمة العربية الهائلة وحتمية انعتاقها وتحرر شعوبها :

ان الأمة العربية ، بتاريخها الحضاري العريق ، وبما تملكه من امكانات وثروات بشرية واقتصادية ، وبما تملكه من تراث وتجارب في مجابهة موجات الغزو الاستعماري وما تعرضت له من تمزق وتقسيم ، تدرك جيداً طبيعة الكيان الصهيوني كجسم غريب تم زرعه بإرادة استعمارية في القلب من جسدها ، بهدف عرقلة تقدمها وتطورها ونهب ثرواتها ، ولهذا فإن الجماهير العربية تعي بالملموس المخاطر الاستراتيجية والمباشرة التي يشكلها هذا الكيان التوسعي على وجودها ومصالحها ، ولا يزال حاضراً في الذهن وبصورة واضحة الدور الذي قام به الكيان الصهيوني والامبريالية العالمية لضرب التجربة الناصرية والافشال بعض الخطوات الوحدوية التي جرت على الصعيد العربي ، إضافة لكل المخططات المعادية التي كانت تستهدف فرض الهيمنة والتبعية على المنطقة

العربية ، والابقاء على مظاهر التشرذم والانقسام ، تلك المخططات التي اجتازت منعطفاً نوعياً عند توقيع اتفاقيات كامب ديفيد الخيانية ، ووصلت إلى أبعد حدود الشراسة أثناء العدوان الامبريالي الشامل على العراق عام ٩١ ، وما تلا ذلك من محاولات لفرض حالة استسلام شاملة على الجماهير العربية .

ان المخططات الامبريالية ــ الصهيونية تستند إلى نظام سياسي عربي منهار ومستسلم،نظام تابع سياسياً واقتصادياً ، نظام متخلف وعاجز عن المجابهة حتى وصل الأمر بهذا النظام إلى التخلي عن خطابه السياسي المناهض لفظياً للكيان الصهيوني ومشاريعه التصفوية .

إنَّ موقف الادانة والرفض الذي جوبهت به اتفاقيات كامب ديفيد في قمة بغداد من على قاعدة لاءات الخرطوم الشهيرة (لا صلح ، لا تفاوض ، لا اعتراف) جرى القفز والتراجع عنها بمنتهى السهولة تحت الضغط الامبريالي الصهيوني ، حيث تسود راهناً حالة من الخضوع والخنوع للاشتراطات والاملاءات التي يطرحها معسكر الأعداء .

على ضوء ما تقدم فإن موقف الجماهير العربية ، لا يمكن إلا أن يكون رافضاً ومناهضاً للمشروع الصهيوني ، ولسياسات الأنظمة العربية التابعة للامبريالية العالمية وخاصة الأمريكية ، لا بد وأن يأتي الوقت الذي ستقف فيه هذه الجماهير لتقاتل دون مصالحها ، وتاريخها ، وثرواتها ، وبالتالي فإن ما يبدو الآن على السطح من مظاهر الضعف والتردد التي تتسم بها حركة الجماهير العربية العريضة وقواها الوطنية والتقدمية ، ما هي إلا مظاهر مؤقتة ، ولا تعبر عن جوهر موقف الشعوب العربية .

إنَّ ارادة الجماهير العربية لن تبقى مكبلة إلى الأبد ، وهذه الجماهير ، إن عاجلاً أم آجلاً ، ستعي جيداً بأن مصالحها تكمن في تحقيق الوحدة العربية كرد على حالة التشرذم والتمزق ، لأن كل شعب من هذه الشعوب ، سيدرك أن ليس بمقدوره حماية وجوده وحقوقه وثرواته الوطنية والقومية بمفرده ، كما ستدرك الجماهير العربية أن تحررها وانعتاقها يكمن في قيام أنظمة ديمقراطية سياسياً ، واجتماعياً واقتصادياً ، وستدرك أيضاً

أن تقدمها وتطورها مرهونان بمدى قدرتها على فك تبعيتها السياسية والاقتصادية عن عجلة الأنظمة الامبريالية العالمية . وفي سياق هذه العملية النضالية المتواصلة ستجد جماهير الأمة العربية نفسها في حالة صدام مباشر مع الكيان الصهيوني الذي سيقف بكل طاقاته وقواه لقطع الطريق على أية محاولات لنهوض أي شعب من شعوب الأمة العربية ، وهكذا يتلاحم النضال الوطني الاجتماعي ، مع النضال ضد العدو القومي .

على ضوء ما تقدم ، أخلص للقول بأن مظاهر التشاؤم التي تفرضها اللحظة الراهنة وعناصرها ، تقابلها مظاهر التفاؤل القائم على رؤية لوحة الصراع وصيرورتها ، هذه الرؤية المبنية على تحليل علمي لتناقضات الواقع ، تلك التناقضات الآيلة للتفاقم أكثر فأكثر سواء على صعيد الصراع بين المشروع الوطني الفلسطيني والمشروع الصهيوني ، أو على صعيد الصراع بين المشروع التحرري القومي العربي والمشروع الامبريالي ــ الصهيوني والقوى الداعمة والمساندة له عالمياً ومحلياً .

إنَّ من الخطأ النظر للواقع نظرة ستاتيكية جامدة ، والوقوع في هذا المحذور سيقود إلى رؤية الواقع وكأنه باقٍ إلى الأبد ، وبالتالي لا مجال إلا للخضوع والاستسلام له .

إننا في الوقت الذي ندعو فيه إلى رؤية المستجدات وتفاعلاتها وتأثيراتها على مختلف الصعد علينا ان نستشرف حركتها ، ونكشف عن عناصر القوة النابعة من جوهر التناقضات المستعصية والتناحرية التي تحكم العلاقة بين شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية من جهة وبين معسكر أعدائنا من جهة أخرى ، وعليه فإنه يصبح في غاية الأهمية ــ عندما تحتدم المؤامرات وتتكالب القوى المعادية في هجماتها ــ ان تحافظ الشعوب وطلائعها على رباطة جأشها ، وان تتحلى برؤية ثاقبة للأمور ، إنها بهذا تحافظ على حقوقها ومبادئها ، تحافظ على أهدافها التكتيكية بترابط وثيق مع أهدافها الاستراتيجية .

بالاستناد لكل ما ذكرت فإنني على قناعة راسخة بحتمية تحرير فلسطين كلها ، وإنني على قناعة راسخة بحتمية اقتلاع هذا الجسم السرطاني الغريب من قلب أمتنا العربية ، وإنني على قناعة راسخة بقدرة وامكانيات شعبنا وأمتنا على النهوض ، ومهما بدا

للوهلة الأولى حطام الهزائم كبيراً ، ومهما بدت اللحظة الراهنة كئيبة وقاسية ، فالمستقبل ـــ مهما طال ـــ هو لصالح الشعوب المصرة على نيل حقوقها وحريتها . .
المهم أن يعي الجميع هذه الحقيقة ويؤمنوا بها ، وأن يترجموا هذا الإيمان إلى فعل متواصل كي يقرّبوا لحظة النصر الآتي لا محالة .

مسألة البديل الثوري ...

■ طرحت الجبهة الشعبية نفسها ، منذ سنين ممثلاً لخط ثوري بديل عن الخط التساومي في السياسة الفلسطينية ، فما هي العقبات التي حالت دون تغليب هذا الخط ؟ وماذا عن بقية قوى اليسار الفلسطيني ارتباطاً بنفس الموضوع ؟

■ ■ ان الظروف الصعبة والأزمة التي أوصلتنا اليها البرجوازية الفلسطينية المتنفذة في قيادة « م.ت.ف » والمتمثلة بالتخلي عن برنامج م.ت.ف الوطني التحرري واستبداله ببرنامجها الطبقي الضيق ، وبالتالي حرف المنظمة عن دورها الوطني كإطار جبهوي ديمقراطي لتحشيد وتعبئة الجماهير الفلسطينية بهدف تحقيق الطموحات الوطنية وتحرير فلسطين ، ودفعها باتجاه الانخراط في المشروع الأمريكي ـــ الصهيوني التصفوي ... إن هذه التطورات والقفزات النوعية في ممارسة البرجوازية السياسية باتت تستدعي وبقوة مسألة البديل الثوري .

إنَّ محاكمة منظمة التحرير وما وصلت اليه من مآزق بقدر ما تعني في جانبها الأساسي محاكمة للبرجوازية الفلسطينية المهيمنة ، فإنها يجب أن تعني من جانب آخر ومن زاوية مختلفة محاكمة لقوى اليسار الفلسطيني ، وخاصة الجبهة الشعبية باعتبارها الفصيل اليساري الأبرز في الساحة الفلسطينية .

فالجبهة الشعبية وقوى اليسار جزء لا يتجزأ من « م.ت.ف » ، وهي شريك مباشر في الانجازات ، والإخفاقات ، لقد شاركت هذه القوى في كل المحطات الأساسية التي مرت بها القضية الوطنية و« م.ت.ف » .

صحيح أن الجبهة الشعبية ومنذ انطلاقتها كانت تطرح مسألة البديل الثوري ، وعبرت عن ذلك برؤيتها البرنامجية ، سياسياً ، وتنظيمياً ، وكفاحياً ، وسلوكياً ، وحاولت أن تعكس ذلك بقدر امكاناتها في الممارسة العملية ، غير أن طرح مسألة البديل نظرياً وبرنامجياً شيء ، وتنفيذها في الواقع شيء آخر . ما أريد قوله ، أن موضوع البديل الثوري ليس قراراً يتخذ أو رغبة ذاتية أو نزعة إرادوية ، انما هو عنوان للنضال ، وهو محكوم بظروف وعوامل موضوعية من جانب ، وظروف وعوامل ذاتية من جانب آخر . إننا ومنذ البداية لم نكن نتصور بأن سيادة مشروع البديل الثوري سيكون بين ليلة وضحاها ، بل سيتم عبر عملية كفاحية تراكمية متواصلة ، كما أنه مشروط أيضاً بصيرورة النضال الوطني ، وبممارسة البرجوازية ومدى اقترابها أو ابتعادها عن البرنامج الوطني ، ويرتبط أيضاً بمدى تحرك التوازنات الطبقية والاجتماعية على صعيد تجمعات الشعب الفلسطيني . إنَّ هذه العملية لا تخضع لمزاج الأفراد أو لتصورات ميكانيكية . معنى إن التغيير وانتقال القيادة من طبقة إلى طبقة هو عملية ثورية معقدة ومتعرجة ولا تسير في خط مستقيم .

إنَّ انتقال القيادة من فئة برجوازية إلى فئة أخرى يحتاج إلى تغيرات وممارسات [illegible]مة وقد تكون مؤلمة ودامية ، فما بالنا عندما نتحدث عن انتقال السلطة من يد [illegible]جوازية إلى يد الطبقات الثورية ؟! .

إنَّ فرادة وخصوصية الوضع الفلسطيني يضاعف من تعقد هذه العملية الثورية ، [illegible] أقصد بهذا القول: وجود الاحتلال ، كعدو قومي يهدد عموم طبقات الشعب [illegible]طيني ، الأمر الذي يعني تراجع تجليات الصراع الطبقي وطنياً ، وسيادة هيمنة [illegible] القومي ، إذ عادة ما تعبر الصدامات الطبقية عن نفسها في مثل هذا الوضع من [illegible] التناقض المهيمن أي التناقض مع الاحتلال ، إن الصراع الطبقي يتموه من [illegible] الصراع القومي ، ولا أقول يتوقف أو ينتهي .

[illegible] الأخرى: تشتت الشعب الفلسطيني وتباين واقعه السياسي والاجتماعي [illegible] وبالتالي عدم تبلور كاف لملامح الطبقية ، وان حدث ذلك فإنه يكون

بتجليات تختلف من موقع لآخر، الأمر الذي يترتب عليه تعقيدات جديدة وصعوبات جمة .

وفي نفس السياق: فإن البرجوازية إجمالاً وبالرغم من تكتيكاتها المتنوعة وانحرافاتها العديدة المعبرة عن رؤيتها الطبقية ، لم تخرق البرنامج الوطني بهذا المستوى النوعي والعملي الذي نعيشه في هذه الأيام وبقيت في الصف الوطني ، إضافة إلى أن هذه البرجوازية وخلال قيادتها للنضال الوطني استطاعت أن تحقق جملة من الانجازات بالاستناد للجماهير الفلسطينية وبمشاركة مختلف فصائل العمل الوطني ، إن أي نقد نوجهه للبرجوازية يجب أن يكون موضوعياً وعلمياً ، ويجب أن لا يخفي الايجابيات والانجازات التي حققتها .

إن نقدنا للبرجوازية يطال ممارستها الضارة والمناقضة لطموحات وحقوق شعبنا ولا يطال انجازاتها الايجابية ، ولا نتمنى بأي حال من الأحوال للبرجوازية أن تنتقل إلى الخندق المعادي من أجل سيادة البديل الثوري ، إننا على استعداد لأن نبقى ضمن نفس الخندق طالما أنها متمسكة براية النضال الوطني وتخوض المجابهة ضد الاحتلال وتسير باتجاه تحرير فلسطين .

من المعروف نظرياً وعملياً بأن البرجوازية المهيمنة في السلطة لا يمكن أن تتخلى عن مواقعها بسهولة،خاصة وأن في يديها العديد من أوراق القوة ، في يديها الشرعية بكل ما تعنيه ، في يديها المال ، وتقف خلفها ــ عندما تحتدم الصراعات ــ البرجوازية العربيــة ، وفي الوقت الذي نعي فيــه مدى خلافهــا وعدم رضــاهــا عن قيــادة « م.ت.ف » ، إلا أنه عندما تصل الأمور إلى خطر البديل الثوري الذي يتهدد مكانة وسـلطة البرجوازية الفـلسطينيـة فإنها ستقف بدون تردد إلى جانب شقيقتها أي البرجوازية الفلسطينية وبدون شك سيكون لهذا الموقف تعبيرات مادية عديدة .

بينما قوى اليســار عموماً ، والجبهـة الشعبيـة خصـوصــاً ، لا تملك مثـل هـذه الامكانات وهذه السهولة في الحركة والنضال .

ومع ذلك يبقى السؤال مطروحاً: هل كل ذلك يبرر الواقع الراهن للجبهة الشعبية ولقـوى اليســار الفـلسـطيني ؟ بالطبع لا . فإن هذه القوى ليست في موقع من لا يستطيع الفعل ، إنها قوى تملك من الوضوح السياسي ، وتملك من التراث النضالي والتضحيات الكثير الكثير ، كما أنها تحظى باحترام والتفاف جماهيري لا يستهان به ، وفوق هذا وذاك ، فإنها تعبر ببرامجها ومواقفها عن مواقف الغالبية العظمى من جماهير الشعب الفلسطيني ، خاصة في ظل تراجع البرجوازية المتنفذة وسيرها على طريق التخلي عن برنامج الاجماع الوطني . فجماهيرنا عندما تصبح أمام مخاطر تهدد حقوقها الوطنية وتضحياتها وانجازاتها ، فإنها بالضرورة وبصورة طبيعية يجب أن تلتف حول القوى التي تدافع عن هذه الحقوق وتناضل في سبيل احقاقها .

إنَّ الجبهة الشعبية وقوى اليسـار كان بامكانها أن تكون في وضع أفضل ، وأن تكون قد قطعت شوطاً أوضح وأكبر على طريق تعزيز مكانة البديل الثوري .

فهذه القوى ورغم ادراكها لأهمية البديل الثوري ، فانها لم تبلور ذلك في خطوات عملية ، وعلى أساس برنامج واضح ، فرغم مرور ربع قرن على نضالها ، فإنها لا تزال مبعثرة ومشتتة ، واقترابها من بعضها كان عادة ما يكون كانعكاس لردود أفعال ودوافع لحظية وتكتيكية وضمن رؤية براغماتية ضيقة ، وليس ضمن رؤية استراتيجية ترى الغابة بدل التركيز على الشجرة كما يقال .

المسـألة الأخرى على هذا الصعيد ، هي أن الجبهة الشعبية وقوى اليسـار ومع [illegible] لحجم تضحياتها ولما تبذله من جهود في النضال الوطني ، إلا أنها تعاني من [illegible] واضح بين طروحاتها البرنامجية وممارستها العملية ، هناك هوة واضحة بين [illegible] وطاقاتها وبين حجم فعلها وتأثيرها في كافة الميادين: في السياسة والتنظيم ، [illegible] ، والمال ، والسلوك . لقد لحقت بهذه القوى العديد من السلبيات والأمراض [illegible] كانت في بعض جوانبها انعكاساً للظاهرة العلنية ، وفي بعض الجوانب لعدم امتلاك [illegible] الملائمة للتجديد ولنفض ما يتراكم على جسمها وممارستها من مظاهر [illegible] ، حيث نلاحظ تفشي مظاهر البيروقراطية ، والركود ، وضعف الانتاجية ،

وترهل البناء الحزبي ، وضعف الاستفادة من الطاقات الكامنة ، كما بالامكان تسجيل ملاحظات جدية على ممارستها الديمقراطية ارتباطاً بالواقع . كما وفي العديد من المحطات كانت بعض قوى اليسار تقف على يمين مواقف البرجوازية ، وتمارس التكتيكات المهادنة في التصدي لخروقاتها وانحرافاتها ، مشكلة بذلك غطاءً لممارساتها وخياراتها الهابطة .

غير انني وبالرغم من هذه الرؤية العامة والتحليلية ألفت النظر إلى أن الجبهة الشعبية خصوصاً وقوى اليسار عموماً استطاعت عبر نضالها أن تبلور في الساحة الفلسطينية نهجين في الممارسة النضالية :

نهج البرجوازية بكل ملامحه وتجلياته ، ونهج القوى الثورية الذي مثلته الجبهة الشعبية على مدار عقود النضال الوطني، هذا النهج الذي كان يعبر عن نفسه بوضوح في السياسة والتنظيم والممارسة والسلوك ، ففي معظم المنعطفات السياسية ، والتغيرات الأساسية ، والمعارك الكبرى ، كانت رؤية الجبهة الشعبية تبرز واضحة ومحددة ، وهذا ليس تقيياً نرجسياً ، وانما عاشته ولمسته جماهيرنا باستمرار [أثناء تواجد الثورة في الاردن ، وفي لبنان ، وأثناء المعارك السياسية الكبرى تجاه « م.ت.ف » وواقعها التنظيمي وتجاه الانتفاضة ، وأخيراً تجاه ما يجري الآن من محاولات تصفوية لقضيتنا] .

غير أن النهج الثوري بقي بالمجمل هو المظهر الثانوي بينما شكّل النهج البرجوازي المهيمن المظهر السائد ، وذلك عائد لكل ما اشرت له في سياق ردي على السؤال .

إن اللحظة الراهنة كما ذكرت باتت تستدعي وأكثر من أيّ وقت مضى ـــ مسألة البديل الثوري ، فكل حقوق شعبنا ونضالاته ستكون في مهب الريح في حال نجاح مشروع الحكم الاداري الذاتي ، إذاً ، فإن مسؤولية الجبهة الشعبية وقوى اليسار الفلسطيني تتضاعف عشرات المرات في مثل هذه الظروف .

إنّ إمكانيات تقدم المشروع الثوري قائمة وممكنة ، انها تحتاج لنضال وآليات عمل جديدة وجذرية ، تتيح لهذه القوى التقدم للإمساك براية النضال ، ان هذا مشروط

بوحدة قوى اليسار ، والتفافها على برنامج واضح ، وتمسكها ببرنامج « م.ت.ف » التحرري الوطني ، وبضرورة رفع سقف صراعها ضد البرجوازية . إن مسألة الوحدة الوطنية كسلاح أساسي وفعّال للنصر ، والذي تقوم البرجوازية بضربه الآن ، علينا أن نضغط باتجاه الحفاظ عليه ولكن من على قاعدة التمسك بالثوابت والحقوق الوطنية .... وتعزيز دور ومكانة القوى الديمقراطية على صعيد الممارسة وعلى صعيد « م.ت.ف » .

إن البرجوازية تسير نحو الحل الأمريكي باسم « م.ت.ف » علينا أن نقول بأن م.ت.ف ليست ملكاً لأحد ، و« م.ت.ف » هي برنامج نضالي ، وهي انجاز حققه شعبنا بالدماء ، ولن نتخلى عنه ، أما من بات يرى بأن المنظمة بتاريخها وببرنامجها أصبحت تشكل قيداً على انهياره ونكوصه ، فبامكانه الخروج منها ، أما نحن فلا زلنا على قناعة راسخة بهذا الاطار وببرنامجه ، إننا نتمنى أن تتراجع البرجوازية المتنفذة عن خيارها ، ولكنها ما دامت تسير في طريق المشروع الأمريكي فإن العلاقة معها هي علاقة صراع ومجابهة .

لتنفض قوى اليسار الغبار عن نفسها ولتتقدم للعب دورها الوطني الطليعي ، فإذا لم تبرر نفسها الآن فإنها ستفقد الكثير من مبررات وجودها عملياً .

ما أود التأكيد عليه هو أنّ البديل الثوري الذي نطرحه لا يعني بأي حال بديلاً لمنظمة التحرير ، وانما بديلاً لخط سياسي ضمن إطار « م.ت.ف » تمثله القيادة البرجوازية المتنفذة .

وفي نفس السياق فإن مجابهتنا لممارسات هذه القيادة ، لا تعني ضرب العمل الوحدوي الميداني بل يجب تعزيز هذه الوحدة بالانشداد دائماً نحو التناقض الأساسي والرئيسي مع الاحتلال .

الثورة الفلسطينية وآفاق المستقبل

■ **تشهد الثورة الفلسطينية حالياً ، باتفاق الجميع ، مرحلة من أخطر مراحلها ، بل إن البعض يعتقد بأن مرحلة الثورة المعاصرة قد طويت في ظل المتغيرات العربية والدولية الراهنة ، كيف تنظرون إلى هذه المسألة ، ولماذا وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه ؟**

■ ■ اتفق بأن المرحلة الراهنة تعتبر من أخطر المراحل التي مرّت بها الثورة الفلسطينية ، وهناك العديد من الشواهد التي تشير إلى خطورة هذه المرحلة .

فالمخطط الأمريكي ــ الصهيوني يركز في هذه الأيام هجومه المباشر والملموس لتصفية القضية الوطنية الفلسطينية ، وتمزيق وحدة الشعب الفلسطيني ، والهبوط بالحقوق الوطنية الفلسطينية إلى مستوى الحكم الاداري الذاتي وفقاً للاشتراطات الاسرائيلية ، كما يجري الانقضاض على كل الانجازات التي راكمها الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية حيث تتجه المؤامرة نحو ضرب قرارات الشرعية الدولية التي تقر بحقوق الشعب الفلسطيني الوطنية وخاصة حق العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة ، ويجري التمهيد الآن لفرض مؤامرة التوطين والتعويض لحل مشكلة اللاجئين ، كما ويدفع معسكر الأعداء باتجاه ضرب الانجاز الوطني الفلسطيني الكبير « م.ت.ف » ، من خلال القفز عنها وشطبها من المعادلة . يضاف لذلك السير الحثيث على طريق انهاء المقاطعة العربية لاسرائيل وتطبيع العلاقات معها بصورة كاملة سياسياً ، واقتصادياً ، وثقافياً ، بمعنى فرض الاستسلام على الصعيدين الفلسطيني والعربي أمام تقدم المشروع الصهيوني ، وبالتالي الاعتراف بهذا الجسم الاستعماري الغريب كجزء مهيمن ومسيطر في المنطقة ، وترسيم وجوده كأمر واقع تحت مظلة فلسطينية رسمية ، وأيضاً مظلة رسمية عربية .

لكل ذلك فإننا لم نشهد مثل هذا الوضع سابقاً ، فحتى عام ٧٩ وبعد توقيع

اتفاقيات كامب ديفيد أبدى النظام السياسي العربي الرسمي في مؤتمر بغداد رفضه لتلك الاتفاقيات ولزيارة السادات الشهيرة للقدس .

إلا أنني وبالرغم من خطورة المرحلة وحجم الهجوم المعادي الراهن ، وبالرغم من حالة الانحدار التي وصلت إليها القيادة البرجوازية المتنفذة في « م.ت.ف » والنظام السياسي العربي الرسمي فان قناعتي لا تزال راسخة بأن طبيعة التناقض مع اسرائيل والغزوة الصهيونية المتحالفة عضوياً مع الامبريالية هو تناقض تناحري لا يمكن أن يسوى إلا بتحرير فلسطين .

على ضوء هذه الرؤية فإن مظاهر الصدام والتمرد على المشروع الصهيوني وعلى المؤامرة التصفوية الراهنة ستزداد وتتفاقم .

أما لماذا وصلت الأمور إلى ما وصلت إليه ؟ فهذا يعود إلى جملة من العوامل الأساسية أكتفها بما يلي:

١) المتغيرات الدولية العاصفة التي شهدها العالم بدءاً من انهيار المنظومة الاشتراكية وتفكك الاتحاد السوفييتي وصولاً إلى انتصار النظام الرأسمالي العالمي في الحرب الباردة بصورة حاسمة ، وانتهاء معادلة الجبارين وسيادة الولايات المتحدة كقطب جبار أوحد يدفع باتجاه فرض تصوراته وشروطه ، بالرغم من وجود عدة أقطاب فاعلة في نفس الاطار [أوروبا ــ اليابان ..] .

٢) المتغيرات الدرامية التي شهدها الوضع العربي ، والتي وصلت إلى الذروة أثناء العدوان الامبريالي على العراق في العام الماضي والتي توجت بحالة انهيار مريع أمام الجبروت الامبريالي وغطرسته .

٣) تنامي القوة الاسرائيلية العسكرية والاقتصادية وبدعم مباشر من الامبريالية الأمريكية والعالمية ، واستقدام مئات الآلاف من المهاجرين اليهود إلى فلسطين ، أي باختصار توظيف اسرائيل لكل المتغيرات أعلاه لزيادة الاختلال في موازين القوى الاقليمية لصالحها بصورة أكثر عمقاً .

٤) وهناك المسؤولية الواضحة التي تتحملها القيادة البرجوازية المتنفذة في « م.ت.ف » عن حالة الانحدار التي لحقت بالثورة الفلسطينية ، والتي ابتدأت منذ الهزيمة التي لحقت بالثورة أثناء تواجدها في الأردن ، مروراً بخروج قيادة الثورة من لبنان ، ومساعدتها على تعريب وتسويغ اتفاقيات كامب ديفيد ، وقبولها بقرار ٢٤٢ ، وتخليها عن الثوابت الوطنية الفلسطينية في ظل أطول انتفاضة شعبية عرفها التاريخ وصولاً إلى قبول العرض الأمريكي التصفوي والانخراط في المفاوضات ، مقدمة بذلك أكبر غطاء لتصفية القضية الفلسطينية وضربها في الصميم .

إن من يدقق في هذا المسار التراجعي والتفريطي يستطيع أن يحمل القيادة المتنفذة في « م.ت.ف » وضميره مرتاح كل الارتياح المسؤولية الأساسية عن حالة الانحدار والتراجع التي تمر وستمر بها الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني ، دون اغفال كل تأثيرات العامل الموضوعي .

إنَّ هذا الموضوع يجب أن يكون واضحاً كل الوضوح ، ويجب أن تجهر به كل الجماهير الفلسطينية وأن تناضل على هذا الأساس لكي ترفع الغطاء عن كل من يفرط بتضحياتها وانجازاتها وحقوقها .

إلا أننا ونحن نرى حجم العامل الموضوعي الدافع باتجاه هذه المؤامرة التصفوية ، والمسؤولية الأساسية التي تتحملها القيادة المتنفذة في « م.ت.ف » لما وصلت إليه الأمور ، فإننا يجب أن لا نُعفي قوى اليسار الفلسطيني وكل القوى المناهضة لهذه المؤامرة ، كما يجب أن لا نعفي أنفسنا كجبهة شعبية من تحمل قسطنا من المسؤولية .

غير أن مسؤولية الجبهة الشعبية وغيرها من القوى المناهضة للتصفية تختلف عن حجم ونوع المسؤولية التي تتحملها القيادة المتنفذة في « م.ت.ف » . فالجبهة الشعبية بالنسبة لكل هذه المفاصل الأساسية التي مرت بها الثورة (في الأردن — في لبنان — الفترة الممتدة من ٨٣ وحتى ٨٧ عام تفجر الانتفاضة الشعبية في الوطن المحتل — العرض الأمريكي الأخير) طرحت مواقف سليمة ومنسجمة إلى أبعد الحدود مع مصالح وأهداف شعبنا وبقيت أمينة ووفية لبرنامج « م.ت.ف » الوطني التحرري . إن

مسؤولية الجبهة الشعبية تتحدد في كونها لم تكن قادرة على فرض هذه المواقف لتتبناها المؤسسة الرسمية لـ « م.ت.ف » .

صحيح أن اقرار هذه المواقف وفرضها لا يتم بصورة ارادوية ، لكونه خاضعاً لجملة من المعايير والعوامل التي يتداخل فيها البعد الطبقي — والمال — والشرعية — وحجم الاسناد الرسمي العربي للبرجوازية ... غير أن كل ذلك لا يحول دون الاقرار بأنه كان بالامكان أن يكون لليسار عموماً وللجبهة الشعبية على وجه الخصوص دور أكثر حضوراً ، حتى وان لم يصل الأمر إلى مستوى فرض البديل الثوري ومواقفه ، فإنه على أقل تقدير كان سيعدل من الواقع الراهن ايجاباً ، مع قدرة أعلى على كبح اندفاعات البرجوازية المتنفذة في مسار التفريط والاستسلام .

هناك ثلاثة عوامل أساسية كان بامكان الجبهة الشعبية والقوى الديمقراطية أن تتقدم على صعيدها الأمر الذي كان سيترتب عليه الارتقاء بدور وفعل ومكانة هذه القوى:

الأول: وحدة القوى الديمقراطية ، وعدم تحقيق خطوات جدية على هذا الصعيد .

الثاني: التصدي للأمراض والثغرات التي نعاني منها كجبهة شعبية مثل تطوير ممارستنا الكفاحية ، وتصفية مظاهر الترهل والخمول ، والقدرة على جذب الجماهير وتأطيرها ، وتطوير امكاناتها المادية ... الخ .

الثالث: تطوير الممارسة السياسية والنضالية والسلوكية للقوى الديمقراطية ، بحيث تمثل عملياً النموذج البديل عن نهج البرجوازية .

تبقى نقطة أخيرة ، وهي أنني لا أوافق على القول بأن مرحلة الثورة المعاصرة قد طويت نهائياً وكلياً ، فالموضوع لا يزال عنواناً للصراع ، ولم ينجل غبار المواجهة بعد . فإذا استطاع المخطط المعادي النجاح في فرض المخطط المرسوم ، أي فرض الحكم الاداري الذاتي ، فحينها ستكون أمامنا ظروف جديدة ووقائع جديدة وعوامل جديدة وفي ذات الاطار موضوع الثورة الفلسطينية المعاصرة الذي يحتاج حينها لوقفة تقييمية

استراتيجية شاملة تستقرىء المستقبل والحراك الذي يكون قد جرى على صعيد التوازنات الوطنية .

أما في حالة نجاح القوى المعارضة والجماهير الفلسطينية في التصدي للمخطط الأمريكي ، بحيث تنتشل « م.ت.ف » من الواقع الذي وصلت إليه ، فإننا في هذه الحالة نستطيع أن نقول بأن الثورة الفلسطينية قد استطاعت اجتياز هذه المرحلة والأزمة الخطيرة ، وبأنها ستتابع طريقها نحو الحرية والاستقلال .

كيف نواجه المشروع التصفوي ؟

■ بين محطة مدريد وجولة المفاوضات السابعة التي تجري هذه الأيام ما يقارب العام ، فعلى ضوء حصاد هذا العام ، ما هو تقييمكم لمسيرة التسوية ؟ وما هي آفاقها ؟

■ ■ بداية يهمني أن أحدد بأن ما يجري لا يمكن أن أطلق عليه مسيرة تسوية ، وإنما هو من حيث الشكل والمضمون ، مسيرة تصفية حقيقية للقضية الوطنية الفلسطينية .

أما بالنسبة لتقييمي لهذه المسيرة بعد مرور عام على بدئها في مؤتمر مدريد ، فإنني أسجل بأن المشروع التصفوي المعادي قد خطا عدة خطوات هامة للأمام ويتمثل ذلك في: ضرب وحدانية التمثيل الفلسطيني من خلال فرض صيغة الوفد الأردني ـ الفلسطيني المشترك ، استبعاد « م.ت.ف » من المفاوضات رسمياً ، ضرب الشرعية الدولية وقراراتها كأساس للحل واستبداله بالمشروع الأمريكي المنسجم إلى أبعد الحدود مع الرؤية الاسرائيلية ، القفز عن موضوع القدس كقضية وتمثيل ، اسقاط عناصر الحقوق الوطنية الفلسطينية متمثلة بحق العودة وتقرير المصير والدولة ، وتمحور المحادثات على الحكم الاداري الذاتي ، والسير على طريق التطبيع مع المحيط العربي ، إضافة لمؤامرة التوطين .. الخ حتى إن رئيس « م.ت.ف » السيد ياسر عرفات وأمام

هذه النتائج اضطر لأن يعلن وأكثر من مرة بأن النتيجة صفر ، وحتى بهذا المعنى فإن الخلاصة مضللة وغير علمية ، فالمدقق في سير المفاوضات ونتائجها بعد عام على بدئها سيجد نفسه أمام ربح صافٍ لمعسكر الأعداء ، وهذا معناه خسائر مباشرة على صعيد حقوقنا الوطنية ، وبالتالي فالمحصلة ليست صفرا ، كما يبدو للوهلة الأولى ، أن الجبهة الشعبية تدرك بوضوح المآل الذي ستسير إليه الأمور في حال الانخراط والتناغم مع الاملاءات الأمريكية ، لقد حددت الجبهة الشعبية موقفها بوضوح منذ بداية جولات بيكر المكوكية التمهيدية في المنطقة ، وهو الرفض الحازم والجذري للتسوية (التصفية) في ظل موازين القوى القائمة . فالتسوية التي تأتي في ظل كل هذه المتغيرات الدولية والعربية السلبية ، لا يمكن أن تكون إلا على حساب شعبنا ، خاصة وأن القوة الراعية لها بالدرجة الأولى هي القطب الأمريكي السند الثابت والاستراتيجي للكيان الصهيوني ، والذي لا يتخذ موقفاً عادلاً أو حيادياً .. تجاه قضايا شعبنا وأمتنا بل انه يبذل جل طاقاته لارغام الطرف الفلسطيني والعرب على الرضوخ للاشتراطات والمصالح الاسرائيلية ـ والامبريالية .

لهذا نحن مناهضون لهذه المؤامرة التصفوية ، وقد جاءت نتائج عام من المفاوضات لتؤكد صحة وجهة نظرنا وتحليلنا .

إننا لم نكتف فقط بطرح وجهة نظر مناهضة للمؤامرة ، بل كنا ولا زلنا نتقدم بمشروع كفاحي بديل لإفشال هذا المخطط ، وهو يقوم على أساس الإمساك بحلقة الانتفاضة الشعبية المجيدة في الوطن وحمايتها سياسياً ، والعمل للنهوض بها ، وتطويرها واسنادها كفاحياً ومادياً ، باعتبارها السلاح الرئيسي والأساسي في المواجهة ، ولكونها تمثل الخيار الجماهيري النضالي المتميز في هذه المرحلة . والحلقة الثانية التي كنا ندعو للإمساك بها ولا زلنا هي ترتيب البيت الفلسطيني على قاعدة التمسك ببرنامج الاجماع الوطني ، وترسيخ الوحدة التنظيمية والسياسية في م.ت.ف ، وإجراء عملية اصلاح ديمقراطي جذري في مؤسسات وأطر المنظمة بما يؤمن أوسع عملية تحشيد وتعبئة وتأطير للجماهير الفلسطينية في كل مكان ، الأمر الذي سيترتب عليه ـ في حال

انجازه ــ فاعلية نضالية كفيلة بإحداث تغيرات متدرجة وملموسة في موازين القوى ستقود في النهاية إلى تقربنا من حقوقنا باستمرار .

إننا في مواجهتنا لمخطط التصفية الأميركي الصهيوني ندعو إلى التمسك بقرارات الشرعية الدولية ، لأن تلك الشرعية تقر بوضوح بحقوق شعبنا ، الوطنية ، أي حق العودة وتقرير المصير والدولة ، وتدعو لانسحاب اسرائيل بما في ذلك القدس ، كما أنها تدين ولا تعترف بالحركة الاستيطانية وبالمستوطنات التي تم بناؤها في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ٦٧ . هذا هو بديلنا العملي وردنا على المشروع الأمريكي التصفوي والمدمر لأهدافنا وحقوقنا الوطنية .

إنَّ المخطط الأمريكي لا يحمل أية إمكانيات حقيقية يمكن أن تلبي الحد الأدنى من متطلباتنا وحقوقنا الوطنية ، فحتى عنوان المستوطنات التي أقيمت على أرضنا المحتلة منذ عام ٦٧ والتي اعتبر ايقافها شرطاً لاستمرار المفاوضات ، جرى التخلي والتراجع عنه من قبل الوفد الفلسطيني المفاوض ، وكل ما يجري الحديث عنه هو تجميد « الاستيطان السياسي »حسب مصطلح رابين ، أي أن الاستيطان الأمني سيتواصل . فما بالك عندما يتعلق الأمر بموضوع القدس وحق العودة ، وتقرير المصير ، والدولة ، والأرض ، والمياه ، والثروات الطبيعية ... الخ .

إن الواجب الوطني والوفاء لتضحيات شعبنا ونضالاته وحقوقه يحتم على الأطراف الفلسطينية المنخرطة في المشروع الأمريكي الخروج والانسحاب فوراً من هذا المجرى المدمر ، والتوجه نحو العمل لتوفير الشروط والمقومات التي تجعلنا قادرين على مواصلة النضال لتحقيق شعار الانتفاضة الناظم « الحرية والاستقلال » .

إننا ونحن ندعو لهذا الموقف ، فإننا نرجح بأن يواصل المعسكر المعادي سيره على طريق تنفيذ وفرض مخططه التصفوي ، لأن معظم العوامل الدافعة لهذا المشروع لا تزال قائمة ، سواء على الصعيد الدولي ، أم العربي ، أم الفلسطيني ، إلا أنه وبالرغم من ادراكنا لشراسة وحجم الهجوم المعادي ، وطبيعة الظروف الراهنة وتعقدها ، فإننا لا نعتبر بأن هذا المشروع المعادي ، قدر لا يرد .

ففي الوقت الذي نرى فيه عناصر استمرار وتواصل هذا المشروع ، فإننا نرى أيضاً عناصر المجابهة والتصدي له ، وأول هذه العناصر : تصادم هذا المشروع مع أبسط حقوقنا الوطنية ، وانسجامه البعيد المدى مع مصالح الكيان الصهيوني ، أي إن المشروع الأمريكي يحتفظ بجوهر التناقض التناحري ولا يقدم حلاً جدياً له ..

والعنصر الثاني : الانتفاضة الفلسطينية الباسلة في الوطن المحتل كخيار كفاحي متصادم مع الاحتلال ومخططاته .

العنصر الثالث : موقف الجماهير الفلسطينية في كل المواقع والتي ترى في المشروع الأمريكي مخططاً يستهدف سحق نضالاتها، وتصفية حقوقها التي قدمت في سبيلها أغلى التضحيات .

العنصر الرابع : الموقف الشعبي العربي من المشروع الصهيوني ، حيث ترى جماهير الأمة العربية فيه خطراً يتهدد آمالها ومصالحها السياسية والاقتصادية ، ويمهد لفرض التطبيع عليها ، ونهب ثرواتها الطبيعية ، وعليه ، فإنها لا بد إلا أن تكون متصادمة ومناهضة له في النهاية .

المهم هو الإيمان الحقيقي بإمكانية التصدي لهذا المشروع ، وحشد الطاقات لمجابهته ، وتفعيل العناصر المشار لها أعلاه ، بحيث تأخذ ترجمات فعلية نضالية ملموسة ومباشرة ، في إطار برنامج نضالي واضح وشامل تلتف حوله القوى الوطنية والإسلامية والجماهير الفلسطينية الرافضة للمشروع التآمري .

برنامج الفصائل العشرة

■ أفلح الحلف المعادي الأمريكي ـ الاسرائيلي في تخفيض سقف التطلعات الوطنية الفلسطينية إلى مستوى الحكم الإداري الذاتي [الكامل أو الناقص] . وتشكل بالمقابل ائتلاف مناهض للمؤامرة من الفصائل العشرة ، ما هي آفاق هذا الائتلاف ؟ وكيف سيتمكن من احباط المؤامرة ؟ وما هي الآلية لذلك ؟

■ يتركز اللقاء والتعاون بين الفصائل العشرة في العمل على التصدي للمشروع الأمريكي ، واسقاط مؤامرة الحكم الإداري الذاتي .

إن آفاق هذا التحالف تتوقف على عاملين أساسيين :

العامل الموضوعي : ويتجلى في كيف ستسير مؤامرة الحكم الإداري الذاتي سياسياً وعملياً فإذا توغلت الأمور باتجاه تنفيذ المؤامرة ، واتخاذها مساراً تطبيقياً ميدانياً ، فإن آفاق هذا التحالف على صعيد استقطاب الجماهير الفلسطينية وقيادتها ستتعزز إلى حد كبير ، هذا ما ظهر بكل وضوح عندما استجابت الجماهير للإضراب ، الذي دعت له الفصائل العشرة في ٩٢/٩/٢٣ .

فالجماهير الفلسطينية التي قدمت ولا تزال كل هذه الدماء والتضحيات والآلام على طريق حريتها واستقلالها ، لا يمكن أن تقبل بانتهاء ثورتها ونضالاتها إلى مجرد حكم إداري ذاتي هزيل ، إن هذه الجماهير ستهب بكل ما أوتيت من قوة ، للدفاع عن حقوقها الوطنية ، وستتصدى بحزم لمخططات المعسكر المعادي التي تستهدف تصفية نضالاتها وقضيتها وتكريس الاحتلال لوطنها .

إنها ستلتف حول القوى الوطنية التي تستمر في رفع لواء النضال والتمسك بالبرنامج الوطني التحرري ، فجماهير الشعب الفلسطيني تملك من الوعي والإرادة والعزم والتراث الكفاحي ما يجعلها بصورة مؤكدة تتصدى لكل من يحاول المساس بحقوقها الوطنية .

أما إذا سارت الأمور باتجاه خروج القيادة المتنفذة من هذا المجرى التصفوي ـ وهذا ما نتمناه ونعمل لتحقيقه ـ فإن المنظمات التي التقت حول مناهضة الحكم الذاتي ستصبح أمام حقائق جديدة واصطفافات جديدة أي ستجد كل القوى الفلسطينية الوطنية والإسلامية نفسها في خندق واحد لمواجهة المؤامرة الأمريكية ـ الصهيونية . هذا بالنسبة للعامل الموضوعي .

أما بالنسبة للعامل الذاتي : ونقصد بذلك برنامج المنظمات العشر ، فإن متانة ورسوخ الديمقراطية فيما بينها ، ونحن في الجبهة الشعبية سنناضل بقوة للارتقاء بالبرنامج المشترك إلى مستويات أعلى ، بحيث يتعدى عنوان افشال مؤامرة الحكم الذاتي ، ليرتقي إلى حد العمل لانخراط الجميع في مؤسسات « م.ت.ف » ، والدفع لاحداث اصلاح أوضاعها السياسية والتنظيمية والإدراية والمالية ، بالإنطلاق من مبدأ القيادة الجماعية وترسيخ الديمقراطية قولاً وممارسة وتثبيت مبدأ التمثيل النسبي ، لاستقطاب جميع القوى وفق حجومها وفعاليتها النضالية ، من على قاعدة تثبيت ميثاق م.ت.ف والالتزام الحازم ببرنامج الاجماعي الوطني ، أي حق العودة وتقرير المصير والدولة .

أما بالنسبة لآلية انجاح برنامج الفصائل العشرة ، فإن ذلك سيكون مشروطاً بقدرة هذه الفصائل على خوض النضال بلا هوادة وعلى مختلف المستويات لحشد الطاقات والقوى في مجابهة المشروع التآمري . وذلك من خلال :

ـ التوجه إلى الجماهير الفلسطينية في كل مكان ، باعتبارها القوة الحاسمة القادرة على احباط المشروع التصفوي ، التوجه إليها لحشدها وتأطيرها وتعبئتها لخوض الصراع بدون تردد . إن استعداد الجماهير الفلسطينية الكفاحي متوفر ويتنامى باستمرار ، وهي تخوض الصراع ضد سياسات الاحتلال بصورة يومية ومتواصلة .

ـ الامساك بالانتفاضة كسلاح أساسي في المواجهة ، ومدها بكل مقومات الصمود والتواصل ، وتخليصها مما علق بها من ثغرات وسلبيات .

ـ الحفاظ على حالة الصدام العنفي والعسكري ضد الاحتلال والعمل بكل الوسائل لايقاع أعلى قدر من الخسائر البشرية والمادية في صفوفه ..

ـــ التحرك النشط والفاعل في أوساط الجماهير الفلسطينية وابداع الأشكال التنظيمية الملائمة لجذبها بصورة متزايدة نحو ميادين الكفاح تحت شعار « الدفاع عن حق العودة وتقرير المصير » . و « رفض التوطين والتعويض » ، ورفض « التطبيع مع الكيان الصهيوني »وتشكيل لجان « الحرية والاستقلال »ولجان « العودة وتقرير المصير » في كل تجمعات شعبنا .

ـــ التحرك الواسع والنشط على الصعيد القومي لتفعيل وحشد القوى والجماهير من أجل مناهضة المشروع المعادي لمصالح وطموحات جماهير الأمة العربية .

ـــ تحفيز الحالة الدولية وقوى الرأي العام العالمي لتجديد حملات التضامن تحت عناوين : « حماية حقوق الإنسان » و « تطبيق القرارت الدولية المتعلقة بحقوق شعبنا » المطالبة « بالحماية الدولية للشعب الفلسطيني » و « عودة المبعدين ... » إلى آخر ما هنالك من عناوين ومهام .

وفي النهاية يهمني أن أنوه بأننا بالقدر الذي نتجه فيه لتحشيد القوى والشخصيات الوطنية لمجابهة المؤامرة الأمريكية ـــ الصهيونية ، وفي الوقت الذي نتصدى فيه لحالة الانحدار التي تسير فيها القيادة المتنفذة في « م.ت.ف » فإن ذلك لا يعني قطع الروابط الكفاحية والنضالية مع كوادر وقواعد القوى المنخرطة في المشروع الأمريكي ، إننا سنعمل بكل ما في وسعنا لتعزيز الوحدة الميدانية مع قواعد وكوادر هذه القوى لأننا نعي وندرك غيرة هذه القواعد ، وتلك الكوادر على مصلحة الشعب الفلسطيني ، إننا نمد أيدينا للجميع ، لخوض المجابهة معاً ، وكتفاً لكتف في مواجهة بطش وارهاب الاحتلال وما مظاهر التعاون والتنسيق بين مجموعات « النسر الأحمر والفهد الأسود » البطولية في الأرض المحتلة إلا خير دليل على أصالة معدن شعبنا وقواه الطليعية .

الانتفاضة ... كلمة الفصل

■ مثلت الانتفاضة ، وباعتراف الجميع ، رافعة هامة في النضال الوطني الفلسطيني ، ما هو حال الانتفاضة الآن ؟ وأين يقع الموضوعي والذاتي على هذا الصعيد ؟

■ ■ لقد شكلت الانتفاضة الشعبية محطة نوعية ذات أبعاد استراتيجية في النضال الوطني الفلسطيني ، وذلك لكونها مثلت خياراً كفاحياً شعبياً كرد على الاحتلال الصهيوني وممارساته القمعية ضد شعبنا وأرضه وثرواته .

وبحكم ما راكمته الجماهير المنتفضة من خبرات وتجارب في مقارعة الاحتلال ، إضافة لتواصل فعالياتها الانتفاضية الكفاحية ، وما تختزنه الجماهير من استعدادات نضالية عالية ، فإننا نرى بأن الانتفاضة وفي ظل الظروف الراهنة تمثل السلاح الأساسي في التصدي للمؤامرة الأمريكية ـــ الصهيونية . وبالتالي فإن قدرتنا ونجاحنا على صعيد الإمساك بهذا السلاح بكل حزم وقوة سيمهدان الطريق نحو وأد مشروع الحكم الإداري الذاتي .

وعليه فإن من الأهمية بمكان التوقف بعلمية وامعان أمام الانتفاضة بهدف رؤية حركتها وصيرورتها ، وسبر أغوار تناقضاتها الداخلية والخارجية ، والتأثيرات التي تهب من حولها بحكم المتغيرات العاصفة التي شهدها العالم ، وشهدها الوضع العربي الفلسطيني .

إن الانتفاضة وبحكم كونها فعلاً شعبياً نضالياً شاملاً ، وتشارك بها كافة الفئات والطبقات الجماهيريه ، ولكونها أبدعت وسائل نضالية وبنى تنظيمية نابعة من قلب واقعها الخاص ، إضافة إلى مؤامرات ومخططات الاحتلال التي تستهدف ضربها وتصفيتها ، إلى جانب تشعب ميادين فعلها السياسية والاقتصادية والثقافية والكفاحية

والنفسية ، لكل ذلك فإن الانتفاضة ظاهرة متحركة تتغير في إطار تقدمها أو تراجعها التوازنات ، وتتأثر بأية متغيرات سواء كانت من داخلها أو خارجها ، إن هذا منطقي وطبيعي جداً جداً ، والخطأ الجسيم يكمن في النظر إلى الانتفاضة نظرة جامدة ، تراها فقط ضمن اللحظة الثابتة .

ارتباطاً بذلك وسواه ، تتبدى للعيان الأهمية القصوى لعملية تقيم الانتفاضة بشمولية بين وقت وآخر ، بهدف كشف مظاهر قوتها وتعزيزها ، ومحاربة مظاهر الخلل التي تظهر في سياق فعلها وتقدمها ، إنه من غير الممكن تقييم الانتفاضة الآن وهي تستعد لدخول عامها السادس بنفس المعايير السياسية والتنظيمية والكفاحية التي اتسمت بها في أيام أو أشهر انطلاقتها الأولى .

فعلى الصعيد الموضوعي ، فإن الانتفاضة وكجزء لا يتجزأ من النضال الوطني الفلسطيني ، من الطبيعي أن تتأثر بجملة التطورات العاصفة التي حصلت على الصعد العالمية ـــ العربية ـــ الفلسطينية ـــ الاسرائيلية .

لقد رفعت الانتفاضة منذ انطلاقتها شعارها الناظم « الحرية والاستقلال » والذي يكثف البرنامج المرحلي لـ « م.ت.ف » متمثلاً بحق العودة وتقرير المصير والدولة . إلا أن المتغيرات التي هبت وحالة الانهيار التي يعيشها ويشهدها النظام السياسي العربي الرسمي ، وحالة الانحدار والتفريط التي وصلت إليها القيادة البرجوازية المتنفذة في « م.ت.ف » ، إلى جانب الانتصارات التي حققها المعسكر الامبريالي ـــ الصهيوني المعادي ، كل ذلك شكل مناخاً معيقاً لاندفاعة الانتفاضة وتطورها بصورة نوعية ، وأعاق من سيرها الحثيث نحو شعاراتها وأهدافها المرسومة . إن الجماهير الفلسطينية المنتفضة لا تزال تخوض الصراع والمجابهة اليومية في مدن وقرى ومخيمات فلسطين المحتلة تحت راية « الحرية والاستقلال » في الوقت الذي تقوم فيه الأطراف الفلسطينية المنخرطة في مجرى الحل الأمريكي بالتفاوض على مشروع الحكم الإداري الذاتي ، تحت ضغط موازين القوى المائلة بصورة كبيرة لصالح العدو ، وتحت رعاية عدو شعبنا ،

أمتنا اللدود الامبريالية الأمريكية . فكيف يمكن أن نتصور بأن كل ذلك لن يترك تأثيراته السلبية على جماهيرنا الفلسطينية المنتفضة ؟! ، وإن من يدفع الأمور نحو حل متهالك وتصفوي سقفه الحكم الإداري الذاتي الهزيل ، لا يمكن أن يتوجه بصورة جدية لحماية الانتفاضة سياسياً ، ولا لاسنادها مادياً وكفاحياً . بل وان الانتفاضة نفسها بكل دلالاتها ومضامينها ستصبح ذاتها موضوعاً للمساومة . هذا على الصعيد الموضوعي ، أما على الصعيد الذاتي : فبالإمكان تسجيل العناوين الأساسية التالية :

ـــ باتت الانتفاضة تتسم في الظروف الراهنة بمظاهر التموج في حركتها وفعلها ، فهي في بعض الأحيان تتسم بالإنسيابية والهدوء النسبي ، والتراجع في مظاهرها الحاشدة ، لتفاجىء العدو بانفجارات عنيفة صاخبة وشاملة ، وبالتالي فلا يجب أن تخدعنا بعض مظاهر الركود التي تسود في بعض المراحل ، فأكثر من مرة أعلن عدد من المسؤولين الصهاينة بأن الانتفاضة قد انتهت ، حتى الآن مثل هذه الاستنتاج وجد من يروج له ويشيعه من أوساط بعض الكتاب والشخصيات الفلسطينية ، غير أن مسيرة الانتفاضة كان تفاجىء هؤلاء وهؤلاء بتجددها وعنفها وشموليتها ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على قصر نظر في ادراك عمق وتأصل روح الكفاح في قلوب وعقول الجماهير الفلسطينية ، فبقدر ما إن الانتفاضة قد شهدت تغيرات وتحولات في سلوكها النضالي وأساليب فعلها ، وبناها وأدواتها التنظيمية ، وبهتان وتراجع بعض مظاهرها الكفاحية التنظيمية ، فإنها في ذات الوقت كانت تستجيب للتحديات بأساليب عمل وبنى تنظيمية جديدة . فمن قال بأن ما ابتدأت به الانتفاضة يجب أن تنتهي به : ألم تراكم لديها تجارب جديدة : ألم يتنام الوعي لدى جماهيرنا بصورة أكثر جذرية ؟.. وهل يتوقع البعض بأن سياسية القمع والبطش والذبح والتدمير ، والحصار الاقتصادي التي يمارسها الاحتلال بحق الجماهير المنتفضة لن تترك بصماتها على فعاليات ونضالات هذه الجماهير ؟!!

إن كل ذلك يجب رؤيته واستشرافه ، ولكن من على قاعدة الإيمان العميق بالاستعدادات النضالية العالية لدى الجماهير الفلسطينية ، ولكون الأسباب

والمقومات التي أدت إلى تفجر الانتفاضة متمثلة بالاحتلال بكل ممارساته الإرهابية لا تزال قائمة بل وأنها تفاقمت أكثر فأكثر بمعنى (زيادة حمى الاستيطان ــ أفواج الهجرة اليهودية الجديدة إلى فلسطين ــ الارتفاع المتزايد في عدد الشهداء والأسرى والجرحى ... الخ) وفوق كل هذا التقدم الملحوظ على صعيد المشروع الأمريكي ــ التصفوي الذي تدرك الجماهير الفلسطينية جيداً مدى تهديده لحقوقها ونضالاتها وتضحياتها وانتفاضتها .

لقد تقدمت الانتفاضة وارتقت بالوعي الشعبي ودفعت بالجماهير للانتظام بصورة متواصلة ، وبالتالي ومع الإقرار بضرورة التنبه لأية تغيرات تراجعية قد تشهدها ومع أهمية وضرورة تلمسها بصورة مسبقة ، فإننا يجب أن نعي بأن مقاومة الاحتلال غدت نمطاً سائداً ، وعليه ، فحتى لو تراجعت بعض المظاهر الانتفاضية في بعض المراحل خطوات للوراء فإن الحالة الجماهيرية لن تعود إلى ما كانت عليه ما قبل الانتفاضة ، فما دامت عوامل الصراع ومسبباته قائمة ، فإن التمرد على الاحتلال سينفجر من جديد بصورة أعنف وأكثر ضراوة مسنوداً بتجارب نضالية جديدة أغنى وأرقى مما كانت عليه عام ٨٧ .

ــ العنوان الثاني على صعيد العامل الذاتي يتمثل في تلاشي وبهتان بعض البنى والهياكل التنظيمية التي تشكلت مع الانتفاضة في مراحلها الأولى مثل [اللجان الشعبية ــ قاوم المناطقية ــ وحتى قاوم المركزية تراجعت ، ولم يعد فعلها مقتصراً سوى على إصدار النداءات] كما تراجع مستوى التنسيق والوحدة بين فصائل العمل الوطني ، سواء على صعيد ركيزة الانتفاضة التنظيمية أم على صعيد المؤسسات الوطنية والجماهيرية .

تواصل التكتيك الاسرائيلي تجاه الانتفاضة ضمن هدف محدد وهو ضرورة سحقها وانهائها ، حيث تتسم الممارسة الاسرائيلية راهناً بالتركيز على النواحي الصلبة تنظيمياً وكفاحياً ، وملاحقة المطاردين وتنفيذ الإعدام بحقهم بدون تردد ، وفرز وحدات خاصة مدربة خصيصاً لممارسة فاشيتها بحق الجماهير المنتفضة . هذا إلى

جانب سياسة طرد العمّال الفلسطينيين واحلال مهاجرين يهود جدد مكانهم .

ــ تنامي مظاهر العنف الشعبي المنظم والعفوي سواء عمليات التخريب أو استخدام الأسلحة النارية أو الطعن ضد الجنود والمستوطنين الصهاينة .

ــ تراجع ملموس على صعيد التأثيرات والخسائر التي كانت تحدثها الانتفاضة ، على صعيد اقتصاد العدو .

ــ بروز بعض المظاهر السلبية في عدد من الممارسات ، مثل استخدام اللثام ، فبالرغم من القيمة النضالية والأمنية لموضوع اللثام ، إلا أنه استخدم في بعض الحالات لتغطية عدد من الممارسات السلبية ضد الجماهير ، دون أن تغيب عن البال ألاعيب الاحتلال على هذا الصعيد . يضاف لذلك بعض الخروقات وعدم التدقيق أثناء ملاحقة العملاء وتصفيتهم .

ــ عدم سيادة الممارسة الديمقراطية بصورة عميقة ، وواسعة في أوساط القوى السياسية ، الأمر الذي أدى في العديد من الحالات إلى الإحتراب والإقتتال الداخلي بما لذلك من تأثيرات سلبية على معنويات الجماهير ونضالاتها ووحدتها .

هذه بعض المعالم التي ارتأيت ضرورة تسجيلها ولفت الأنظار لها .

بقي أن أشير بأن الانتفاضة لا تزال متواصلة ، وبالتالي فإن شعارها الناظم « الحرية والاستقلال » هو شعار حيوي وكفاحي يجب أن يلتف الجميع حوله . هذا الالتفاف من الضروري أن يعبر عن نفسه من خلال الإمساك براية الانتفاضة واسنادها مادياً ، وحمايتها سياسياً ، ودعمها كفاحياً ، إلى جانب التوجه لإنهاء مظاهر الخلل التي ولدت في معمعان العملية الانتفاضية ، وابداع أنماط كفاحية جديدة ، وبنى تنظيمية تستجيب للواقع الناشيء ، إضافة لتعميق الوحدة بين القوى الوطنية والإسلامية ، والتشديد على أهمية الوحدة الميدانية بين قواعد وكوادر وأطر مختلف الفصائل المناضلة ، والعمل الجدي لتعميق الديمقراطية في أوساط شعبنا وفيما بين فصائل العمل الوطني ، وبذل الجهود لاستعادة الطابع الجماهيري الحاشد للانتفاضة ، واستخدام المناسبات الوطنية والأحداث التي تشكل عامل إجماع لدى القوى

والجماهير على غرار ما حصل في التضامن مع أسرى الثورة البواسل أثناء إضرابهم البطولي عن الطعام مؤخراً ، بهدف احداث حالة نهوض جماهيري واسعة .

كل ذلك من على قاعدة الدفع لتسعير حالة الاشتباك والتصادم مع الاحتلال وتطوير المناشطات العنفية الشعبية والعسكرية المنظمة ضد جنوده ومستوطنيه .

إن الإمساك بحلقة الانتفاضة الآن هو المفتاح وكلمة الفصل في مجابهة المشروع التصفوي الأمريكي ــ الاسرائيلي . حيث تتلاحم المهمتان المركزيتان في وحدة واحدة :

ــ حماية الانتفاضة واسنادها وتطويرها .

ــ والتصدي للمشروع التصفوي المعادي ، أي الحكم الإداري الذاتي واسقاطه .

فلسطينو مناطق ٤٨ والشتات : الدور والمصير ...

■ فلسطينيو الشتات وفلسطينيو مناطق ٤٨ ، أين هم اليوم في استراتيجية العمل الوطني الفلسطيني الراهن ؟ وماذا عن مؤامرة التوطين ،/ والتهجير ، « م.ت.ف » وحق العودة ؟

■ ■ المخطط الصهيوني ــ الامبريالي وفور اقامة دولة اسرائيل غدا الهدف المباشرالدائم له ، محوّ الشخصية الوطنية الفلسطينية ، فعلى ذلك الجزء الذي بقي صامداً من شعبنا في مناطق ٤٨ أطلق العدو تسمية « عرب اسرائيل » ، وبعد ضم الضفة الفلسطينية إلى المملكة الأردنية جرى التركيز للتعامل مع أبناء شعبنا فيها على أساس أنهم أردنيون . وهكذا بقي أبناء شعبنا في قطاع غزة ، وفلسطينيو الشتات في سوريا ولبنان

والمهاجر الأخرى ، حيث استمر التعامل معهم كفلسطينيين.هذا ما يفسر قيام الثورة الفلسطينية المعاصرة في أوساط هذه التجمعات في الخارج .

بطبيعة الحال إن محاولات الكيان الصهيوني ، ومحاولات الأنظمة العربية طمس الهوية الوطنية الفلسطينية ، لم تستطع تحقيق أهدافها ، هذا ما يفسر حالة الالتفاف الواسع والكاسح الذي حظيت به الثورة الفلسطينية المعاصرة من قبل الجماهير الفلسطينية في كل المواقع .

ثم تطورت وتبلورت « م.ت.ف »كإطار وطني مكافح ، وتصاعدت ظاهرة الكفاح المسلح بكل ما أثارته من آمال وما راكمته من شعور متنامٍ بالعزة الوطنية ، وروح معنوية قتالية عالية ، كل ذلك أعاد للهوية والشخصية الوطنية الفلسطينية ملامحها الأصيلة ، وقد برزت هذه الملامح ونمت بحيث غدت رمزاً نضالياً على الصعيدين العربي والعالمي ، وإن الكفاح الذي خاضه الشعب الفلسطيني والبطولة النادرة التي ضربها في مقارعة الاحتلال جعلت الشخصية الوطنية الفلسطينية تتخطى الحدود المحلية والقومية ، لتغدو عنواناً للكفاح والإرادة والبطولة .

على ضوء هذه التطورات والانجازات جاء قرار قمة الرباط عام ١٩٧٤ والذي يعترف بـ « م.ت.ف »كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني .

إن التفاف الجماهير الفلسطينية في مختلف مواقعها ، حول م.ت.ف لم يكن تعبيراً عن اندفاعة عاطفية ورد فعل غريزي بحت ، وإنما يعود بالأساس إلى كون هذه الجماهير رأت في « م.ت.ف » في ميثاقها الوطني ، وبرنامجها التحرري ، ورأت في الفصائل الوطنية المكافحة التي تشكل العمود الفقري للمنظمة رأت فيها بالإضافة إلى دورها في الدفاع عن حقوق هذه الجماهير . البوابة والإطار الذي يفتح الآفاق أمامها لاستعادة وطنها وحقوقها المغتصبة ، رأت فيها البعد الحقيقي عن هويتها وكيانها

السياسي ، رأت فيها الأداة التي ستقودها لتحرير فلسطين .. من هنا وعلى هذا الأساس نفهم الالتفاف الجماهيري الفلسطيني حول « م.ت.ف » .

غير أن السياسة والخطوات التي أخذت تتبعها القيادة المتنفذة في م.ت.ف ، والتي توجت أخيراً بالانخراط في المشروع الأمريكي التصفوي ، باتت تهدد بضياع كل هذه الانجازات الكبرى ، التي دفع شعبنا في سبيلها سيلاً من الشهداء والجرحى والأسرى والعذابات .

وبالتالي فإن القيادة المتنفذة ، السائرة على طريق التفريط بالمرتكزات الأساسية للبرنامج الوطني التحرري للمنظمة ، استجابة للاملاءات الأمريكية ، ستقود في نهاية المطاف إلى تفسيخ وحدة الشعب الفلسطيني ، وإلى انفضاض الجماهير الفلسطينية عن ممثلهم الشرعي . فمنظمة التحرير الفلسطينية بشرعيتها من خلال تمسكها ببرنامجها التحرري ، من خلال تمسكها بحق العودة وتقرير المصير والدولة ، فإذا تخلت عن كل هذه الثوابت ، وهبطت بالحقوق الفلسطينية الوطنية إلى مجرد حكم إداري ذاتي هزيل تحت بسطار الاحتلال ، فما الذي سيبقى منها سوى تراثها وتاريخها ؟! وبالتالي ما الذي سيجعل الجماهير الفلسطينية تمنحها الثقة والتعاطف ؟!

إن المشروع الأمريكي يعني في الممارسة . تمزيق وحدة الشعب الفلسطيني إذ أنه لا يتحدث سوى عن حل لسكان الضفة والقطاع وفقاً للفهم الاسرائيلي ، كما يعني ضرب حق تقرير المصير ودفن مشروع الدولة الفلسطينية كمشروع كفاحي .. إلى آخر ما هنالك من مخاطر ...

وإذا استطاع العدو فرض مخططاته ، فإن ما حققه الشعب الفلسطيني من تبلور لهويته وشخصيته الوطنية ، سيعود من جديد ليصبح مهدداً بالتبديد والضياع .

ارتباطاً بذلك ، فإن الجماهير الفلسطينية في مناطق ٤٨ ، وفي العديد من بلدان الشتات تصبح عملياً ، خارج استراتيجية القيادة المتنفذة ، وهذا من أكبر المخاطر التي تهدد شعبنا وقضيتنا .

على جماهيرنا أن تدرك جيداً حقيقة ما يجري ، وأن تدرك جيداً ما يخبئه لها

المشروع المعادي التصفوي ، لانها تصبح في هذه الحالة مطالبة بأن تتخذ موقفاً حازما من تلك الأطراف التي تقوم ، وتحت اسم الشرعية للتحدث باسمها وللتوقيع باسمها صكوك التنازل عن حقوقها وتضحياتها وانجازاتها .

إن خطورة الوضع القائمة والمحتملة ، تتطلب ثورة ونضالاً جماهيرياً واسعاً ومتصاعداً لكي تعود الأمور إلى نصابها النضالي الطبيعي . فمنظمة التحرير الفلسطينية هي قبل أي شيء انجاز حققه الشعب الفلسطيني بالدماء ، ولهذا فهي ليست ملكاً لهذا الشخص أو ذاك ، لهذا التنظيم أو ذاك ، إنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، لأنها المعبر عن آماله وتطلعاته ، وعليه يجب بذل كل الجهود لحمايتها والدفاع عنها وعن برامجها ومضامينها النضالية .

فهل يتوقع أحد بأن قيادة « م.ت.ف » المتنفذة سينزل عليها الوحي في ليلة صافية لكي تعود إلى جادة الصواب ، وإلى طريق الكفاح هكذا لوحدها ؟

إن هذا مستحيل ، طالما أن هذه القيادة غارقة في مستنقع المخطط الأمريكي ، وطالما أنها لا تُجابه بصوت جماهيري واسع وواضح يضع لأوهامها ولخروقاتها ولضيق أفقها ورهاناتها القاصرة الحد الفاصل وبصورة حاسمة .

إن ردنا على الواقع القائم هو : أن تندفع القوى الوطنية والديمقراطية والإسلامية ، والجماهير الفلسطينية إلى ميدان المواجهة للدفاع عن رؤيتها الوطنية المتسجمة تماماً مع برنامج الإجماع الوطني الفلسطيني جماهيرنا في كل مكان ، مطالبة بالتعبير عن غضبها وموقفها ، جماهيرنا في مناطق ٤٨ عليها أن تقول كلمتها ، تلك الجماهير التي أثبتت وعلى مدار ما يزيد عن ٤٠ عاماً على أصالتها وكفاحيتها التي بذل العدو الكثير ارهاباً وترغيباً في سبيل تهويدها وفصلها عن بقية أبناء الشعب الفلسطيني والتي يصفها « بأنها قنبلة موقوته ، وفي حال انفجارها فإن ما يحدث الآن في الضفة والقطاع لا يعتبر شيئاً إلى جانبها » .

جماهيرنا في الضفة والقطاع المحتلين ، وفي الاردن ، في سوريا ، وفي لبنان . وبقية بلدان الشتات كل جماهير شعبنا ، مطالبة الآن بالنهوض إلى ساحة النضال لدرء

الهجوم الامبريالي الصهيوني الموجه لضرب قضيتها وحقوقها ، وللجم القيادة المتنفذة ، ورفع راية الكفاح ، وراية الحقوق الوطنية الثابتة .

يجب أن تعبر جماهير شعبنا عن إرادة موحدة وأن تبرهن للجميع بأن ما من قوة في الأرض قادرة على ضرب وحدتها .

إن خطورة المرحلة الراهنة ، ولكون المخطط المعادي يطال باستهدافاته كل تجمع من تجمعات شعبنا ، فإن كل جزء من هذا الشعب يشكل ركناً رئيسياً في استراتيجية النضال الوطني الفلسطيني .

إن جماهيرنا في مناطق ٤٨ لا يزال هدف طرد الاحتلال يشكل قناعة راسخة في عقولها وجماهيرنا في الشتات تؤمن بأن لا بديل عن عودتها إلى أرض الوطن ، ولهذا فإنها لن تتخلى عن حقها وواجبها في النضال من أجل تحرير فلسطين ، فإذا كانت القيادة المتنفذة قد اسقطت هذه الجماهير من استراتيجيتها فهذا شأنها ، فالجماهير في النهاية هي التي ستقرر الموقف النهائي .

الكفاح المسلح ...

■ ما هو تصورك للكفاح المسلح الفلسطيني على ضوء الظروف الجديدة التي يواجهها النضال الوطني الفلسطيني خارج الوطن المحتل ؟

■■ على ضوء الظروف الجديدة التي يواجهها النضال الوطني الفلسطيني ، والواقع الصعب الذي تعيشه الثورة خارج الوطن المحتل ، برزت في الساحة الفلسطينية بعض الدعوات ، ووجهات النظر التي باتت ترى بأن الكفاح المسلح انتهى ، وبأنه لم يحقق ما انطلق من أجله ، وبالتالي يجب الانتهاء من هذا العنوان والتوجه للعمل الدبلوماسي والجماهيري .

بالنسبة لهذا الموضوع يهمني أن أوضح الجوانب التالية :

أولاً :

صحيح إن الكفاح المسلح الفلسطيني لم يستطع أن يصل إلى تحرير الأرض ، إلا أن هذا الكفاح شكل وعلى مدار ما يزيد على عقدين من الزمن الرافعة التي تحققت بواسطتها معظم الانجازات التي حققها شعبنا منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة إلى أن توج كل ذلك بالانتفاضة الشعبية المجيدة في الوطن المحتل ، الاعتراف بالشعب الفلسطيني كشعب مكافح [الاعتراف بـ « م.ت.ف » كممثل شرعي وحيد ، جذب الجماهير الفلسطينية إلى ساحة النضال بزخم عالٍ ، استعادة الهوية الوطنية الفلسطينية ... الخ] .

أما من كان يتصور بأن الكفاح المسلح الفلسطيني كان يجب أن يهزم المشروع الصهيوني بكل ما يمتلك من تفوق عسكري اقتصادي ، وباسناد شامل من أعتى الامبرياليات العالمية ، خلال بضع سنوات فهذا شأنه ، أما نحن فقد انطلقنا على هذا الطريق ونحن ندرك صعوبته ، وندرك التضحيات الجسيمة التي علينا وعلى شعبنا تقديمها ، وبأن التحرير هو عملية نضالية طويلة ومعقدة .

ثانياً :

إن الكفاح المسلح هو ضرورة موضوعية وذاتية نابعة من طبيعة العدو الذي نجابه ، هذا العدو الذي لا يتورع عن ارتكاب أبشع الجرائم والدمار بحق جماهيرنا في كل مكان .

وبالتالي فإنه أحد الأشكال الرئيسية التي فرضتها طبيعة المواجهة مع العدو ، فالتناقض التناحري مع الاحتلال الذي شرد الشعب ، واغتصب الأرض ، ويهاجم تجمعات شعبنا في كل مكانٍ ، لا يمكن الرد عليه فقط من خلال أساليب المواجهة السلبية ، وإنما يصبح الرد على عنفه الفاشي الرجعي ، بالعنف الثوري بما في ذلك الكفاح المسلح شرطاً أساسياً يفرضه الواقع . بل وان المواثيق والأعراف الدولية قد كفلت للشعوب التي تعاني من الاستعمار والاضطهاد ممارسة الكفاح وبكافة الوسائل

ضد أعدائها .

بالاستناد لذلك فإنني لا زلت على قناعة راسخة بأهمية الكفاح المسلح ، كخط استراتيجي ثابت ما دام الاحتلال الصهيوني جاثماً على أرضنا ويمارس التنكيل بحق شعبنا .

ثالثاً :

إن ممارسة الكفاح المسلح يجب أن تكون مرتبطة بالواقع الخاص لكل تجمع من تجمعات الشعب الفلسطيني ، بمعنى ، أن الواقع الاجتماعي ، والسياسي والجغرافي هو الذي يحدد الشكل الملائم والمناسب لمقاتلة العدو ، فقد تتخذ الممارسة شكل القواعد العلنية ، خاصة عندما يرتبط الأمر بتوفر قواعد ارتكاز تستند لها هذه المجموعات المقاتلة ، وقد تكون على شكل مجموعات سرية ضيقة تلتزم بكل قوانين العمل السري ، وهذا ما ينطبق على ساحات العمل السرية .

رابعاً :

لا يجوز أن نقيم تناقضاً قسرياً بين النضالات الجماهيرية الواسعة ، التي تتخذ مظاهر عنفية أو سلبية في مواجهة الاحتلال ، كما هو حال الانتفاضة ، وبين الكفاح المسلح ، فلكل شكل وأسلوب من أساليب النضال دوره ومكانته وظروفه واشتراطاته ، وكلها تكمل بعضها بعضاً ، لتشكل سياقاً كفاحياً عاماً ، يتميز بالحيوية والمرونة وبالقدرة على التكيف حتى في ظل أقسى الظروف ، ولكن دون النكوص عن ممارسة الكفاح بدعوى الظروف الصعبة وغير المؤاتية .

خامساً :

على ضوء الواقع الصعب الذي باتت تعيشه ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني في دول الطوق سواء لعوامل موضوعية أم ذاتية فإن ساحة الأرض المحتلة وبحكم حالة النهوض الجماهيري السائدة فيها ، يقع الآن على عاتقها دور أساسي في مقاتلة الاحتلال ، وبطبيعة الحال فإن شكل المواجهة الأساسي مع العدو لن يتخذ شكل الكفاح المسلح واسع النطاق ، وإنما سيتجلى في ظل واقع الأرض المحتلة وإمكانات

الفصائل الوطنية ، والجماهير وفي ظل تركز قوة العدو هناك عبر أنماط كفاحية في غاية التنوع يمكن ادراجها تحت عنوان العنف الثوري ، الذي يشمل التخريب الشعبي — والطعن — والزجاجات الحارقة — إضافة إلى القنبلة والبندقية ... الخ .

سادساً :

لا شك بأن ظاهرة الكفاح المسلح الفلسطيني كما مارسناها وعشناها طيلة الفترة الماضية ، قد شهدت جملة من التطورات والتغيرات ، وجملة من الظروف الصعبة ، الموضوعية والذاتية ، التي فرضت في النهاية بعض مظاهر الانكفاء والتراجع ، علينا أن نرى ذلك ونعترف به ، علينا أن نرى إجراءات العدو الأمنية ، كما علينا أن نرى الإجراءات التي تتخذها الأنظمة العربية للحيلولة دون ممارسة كفاح جدي ضد الاحتلال ، علينا أن نتذكر الهجمات الواسعة التي وجهت لجسم الثورة العسكري من مختلف الاتجاهات ، وعلينا أن نرى الظروف الراهنة بكل تعقيداتها ، كل ذلك من الطبيعي أن يؤثر على ظاهرة الكفاح المسلح ، وبالتالي يحد من تصاعدها وتطورها ، غير أنه ونحن نرى ذلك ، لا يجوز أن نصل إلى خلاصات خاطئة وقرارات خاطئة ، فأن يواجه النضال الوطني عموماً والكفاح المسلح خصوصاً ظروفاً صعبة وأن يمر في بعض حالات التراجع أحياناً شيء . وأن تصل الأمور إلى مستوى التخلي عن هذا الخط الكفاحي الاستراتيجي شيء آخر .

إذن ونحن نجابه الظروف الصعبة التي يواجهها الكفاح المسلح علينا باستمرار الامساك بهذا الخيار وقراءة الواقع بصورة علمية واعادة النظر في بنيتنا العسكرية كثورة فلسطينية ، وأن نطور من أدواتنا وتكتيكاتنا ، وممارستنا ، بحيث تتوفر لدينا القدرة دائماً على ضرب العدو ، وحتى في ظل أعقد الظروف فإن هناك دائماً الامكانيات والوسائل القادرة على ترجمة هذا الخط النضالي ، المهم أن تتوفر الارادة ، والرؤية العلمية ، والاصرار على مقاتلة العدو ، والقدرة على استثمار الامكانات المتوفرة بصورة مثلى .

في النهاية إن مجابهة الاحتلال وافشال مخططاته التصفوية ، وعلى رأسها مؤامرة الحكم الاداري الذاتي ، وتغيير موازين القوى بصورة متدرجة لصالح شعبنا وقضيتنا ،

لن يكون ممكناً بدون التطوير الفعال في ممارستنا للعنف الثوري بكافة الأساليب ، من الداخل والخارج ، الأمر الذي سيترتب عليه ايقاع الخسائر البشرية والمادية في صفوف العدو ، بصورة متنامية باستمرار بحيث يضطر هذا العدو في النهاية أن يسلم بحقوقنا الوطنية رغماً عنه .

أما من يتخيل بأن بالامكان انتزاع حقوقنا عن طريق التفاوض مع العدو الصهيوني وهو يمتلك كل هذه المقدرات ، وكل هذه الغطرسة والشراسة ، وفي ظل هذا الميل الكاسح في موازين القوى لصالحه ، من يتخيل ذلك فإنه يعبر عن ضيق أفق ليس إلا .

وبالتالي فإن مهمة تسعير الكفاح ضد الاحتلال ، وبكافة الأشكال العنفية هي مهمة استراتيجية دائمة على جدول الأعمال ، وقد جاءت الظروف الراهنة التي تحيط بقضيتنا لتزيد أكثر فأكثر من قيمة هذا العنوان الرئيسي وأهميته التكتيكية والاستراتيجية .

ساحة الأرض المحتلة ... المكانة والدور

■ أولت الدوائر الاستخبارية والسياسية الاسرائيلية اهتماماً خاصاً لمنظمة الجبهة الشعبية في الأرض المحتلة ، مما يؤكد على درجة معينة من نجاح الجبهة على هذا الصعيد ، كيف نجحت الجبهة في الداخل في تجسيد هذه الحقيقة؟ وكيف ترون ساحة الأرض المحتلة في استراتيجية العمل الوطني الفلسطيني مستقبلاً؟

■ ■ منذ انطلاقة الجبهة الشعبية ، وساحة الأرض المحتلة تحظى بمكانة استراتيجية خاصة في فكرها وبرامجها وهذا شيء طبيعي جداً ، ذلك لأن ساحة الداخل تتسم بجملة من المزايا الأساسية لا تتوفر في أي تجمع فلسطيني آخر ، حيث تتركز فيها نسبة رئيسية من جماهير الشعب الفلسطيني ، التي تصطدم يومياً بالاحتلال في كل مناحي الحياة [السياسية ــ التنظيمية ــ الاقتصادية ــ الثقافية ... الخ] ، اي إنها تعيش

يومياً وبصورة متواصلة حالة التناقض التناحري الذي يحكم العلاقة بينها وبين عدوها الذي ينتهك حقوقها وقيمها وتاريخها ويمارس القهر والتنكيل والتشريد بحقها في كل لحظة .

يضاف لذلك انتشار قوات الاحتلال ومستوطنيه ومصالحه الاقتصادية بصورة واسعة في كل أنحاء فلسطين الأمر الذي يسهل التصادم معها وتوجيه الضربات إليها.

إن هذه النظرة الاستراتيجية للأرض المحتلة هي ركيزة ثابتة في فكر الجبهة الشعبية ، لم تتراجع ولم تتغير حتى في ظل وجود مركز الثقل للمقاومة الفلسطينية المسلحة في الأردن . ثم انتقالها إلى لبنان . وبالاستناد لهذه الرؤية فقد سجلت الجبهة الشعبية في الأرض المحتلة محطات نضالية مضيئة في مقارعة الاحتلال ، نتذكر التجربة الفذة للرفيق جيفارا غزة ، وتجربة الرفيق ابو منصور في جبال الخليل ، نتذكر آلاف الرفاق الأسرى الذين يرزحون في سجون الاحتلال ... إن الجبهة الشعبية ومنذ انطلاقتها وحتى الآن راكمت في الأرض المحتلة خبرة نضالية عالية ، وراكمت تراثاً كفاحياً مشهوداً له ، ولهذا فهي تحظى بالاحترام الشديد والثقة العالية من قبل جماهير الشعب الفلسطيني في داخل الأرض المحتلة وخارجها .

إن هذا التراث وهذه الخبرات في ميادين الكفاح والتنظيم والعمل الجماهيري لم تأت بدون تضحيات جسام ، إنها جاءت في سياق مخاض نضالي طويل ومرير ، لقد ذقنا مختلف أنواع المرارات قبل أن نصل إلى ما نحن عليه الآن ... لقد تلمس العدو مبكراً الدور والخط السياسي والكفاحي الذي تمثله الجبهة الشعبية ، ولهذا فهو لم يتردد لحظة واحدة في ملاحقتها وتوجيه الضربات لها ، وقد مرّت لحظات كان يبدو فيها الأمر ، وكأن العدو قد نجح فعلاً في تحطيم تنظيم الجبهة الشعبية ... إلا أن منظمة الجبهة الشعبية في الأرض المحتلة وبقيادة عدد من الرفاق الصلاب والمخلصين رفاق انصهروا في النضال بكل حياتهم ، استطاعوا دائماً أن ينهضوا بعد كل هجمة معادية ليعيدوا التأسيس والبناء ، ويردوا للعدو الضربة بضربة ، لقد اجترحوا مآثر لا تنسى في الصمود وتحدي الفاشيين في المعتقلات ، لقد حموا قلعة الحزب بدمائهم ، وارادتهم ، وبهذا

هزموا أجهزة الاستخبارات الصهيونية في معظم المواجهات ، وليس أدل على ذلك من قائمة الشهداء الذين سقطوا دون أن يتفوهوا بكلمة تضر بحزبهم وبقضيتهم وبشعبهم .

إنهم حقاً كوكبة من الرفاق الأبطال الذين يفضل الواحد منهم أن يطير رأسه على أن يحرك شفتيه تلبية لرغبة العدو .

هذا ولم يقتصر دور منظمتنا الحزبية في الداخل على موقف الصمود في أقبية التحقيق ، وإنما تعدى ذلك إلى مسيرة مبدعة في حقول العمل الجماهيري والبناء التنظيمي السري ، وفي لعب دور طليعي متقدم في قيادة الحركة الجماهيرية في كل معاركها ضد الاحتلال ، في السياسة والتنظيم — والاقتصاد .

إن الانتفاضة الفلسطينية الراهنة تشهد لحزبنا في الأرض المحتلة بالمبادرة وبالتمسك بأهدافها وشعاراتها والتقدم دائماً لميدان الاشتباك والصدام مع جنود الاحتلال ومستوطنيه ، ولم تستطع كل محاولات العدو لقصم ظهر الجبهة الشعبية أن تفت في عضد رفاقنا وأنصارنا وجماهيرنا ، حتى أن العدو اضطر للاعتراف مراراً وبعد أن يكون قد أعلن أنه تمكن من تصفية الجبهة الشعبية بأن « الجبهة الشعبية تنظيم عقائدي حديدي » وانها « المنظمة الرائدة الآن في المناطق ، ومن الناحية المهنية والفنية ، فإنها ايضاً المنظمة التي تحصل على الدرجة الأعلى » هذا ما صرح به اللواء أوري ساغي رئيس جهاز الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية . أما بالنسبة لمكانة ساحة الداخل في المرحلة الراهنة ، فإن جملة التطورات العديدة والهامة التي مرت وتمر بها الساحة الفلسطينية الآن ، قد نقلت مركز الثقل الوطني للداخل .

فالانتفاضة بما حققته من انجازات ، وما راكمته من خبرات ، وما تحمله من دلالات ومضامين كفاحية ، وسياسية ، وجماهيرية دفعت بساحة الأرض المحتلة إلى المقدمة .

إضافة إلى أن الظروف الصعبة التي تعيشها ركيزة الثورة في الخارج وتراجعها بعد الخروج من بيروت ، ساهمت في احداث هذه النقلة الهامة .

وتأتي المؤامرة التصفوية — أي الحكم الاداري الذاتي — لتضيف بعداً جديداً إلى

الدور الوطني الذي يجب أن تضطلع به ساحة الأرض المحتلة ، إذ أنها تشكل الميدان المادي لتطبيق هذه المؤامرة في حال تنفيذها ، الأمر الذي يعني بأن العبء الأساسي في مواجهة المشروع الأمريكي سيكون من نصيب جماهيرنا في الأرض المحتلة ، دون أن يقلل ذلك من دور الجماهير الفلسطينية في الخارج .

لقد قام العمل الوطني الفلسطيني تاريخياً على ركيزتين أساسيتين: ركيزة الداخل ، وركيزة الخارج ، وبالمجمل فإن الظروف التي رافقت نشوء ظاهرة الكفاح المسلح في الخارج ، سواء في الأردن ، أم في لبنان ، بحكم الضعف الذي كانت تعاني منه الأنظمة والجيوش العربية إثر هزيمة حزيران عام ٦٧ ، اضافة إلى تركز م. ت. ف ومؤسساتها وهيئاتها وأطرها القيادية في دول الطوق ، كل ذلك كان يعني بأن الرأس القيادي الفلسطيني يجب أن يكون متنقلاً ، كاستجابة لتطور الواقع ولمركز ثقل النضال الوطني وساحات فعله .

أما الآن فإنه وبفعل العوامل التي أشرت لها بخصوص انتقال مركز الثقل في النضال الوطني إلى الداخل ، فيجب التفكير جدياً بكيفية واشتراطات الاستجابة لهذه النقلة سياسياً ، تنظيمياً ، مالياً ... الخ وبما ينسجم ويستجيب للتطورات الحاصلة والمستقبلية .

إنَّ هذا الحراك في مركز ثقل النضال الوطني ، وفي تنقل مركز القرار الوطني لا يجوز أن يعني المساس بوحدة الشعب الفلسطيني ، كما يحاول الاحتلال أن يصور الأمور ، وإنما يعني تعزيزاً أكثر للنضال الوطني ، ففي كل مرحلة حاسمة كان يتعرض فيها مركز الثقل النضالي الفلسطيني لصعوبات كنا نرى حالة الالتفاف والاندفاع الجماهيري لاسناد ودعم هذا الموقع وحمايته ، هذا ما عشناه في الأردن ، وهذا نلمسناه أثناء اجتياح ٨٢ ، واثناء حروب المخيمات عام ٨٥ .

وبالمحصلة فإن موقع ودور ساحة الأرض المحتلة وعلى ضوء مجمل الأحداث الجارية نعرز أكثر ارتباطاً باستراتيجية النضال الوطني الفلسطيني القائمة على أسس كفاحية

وعلى قاعدة مواصلة النضال الوطني حتى احقاق الحقوق الوطنية الفلسطينية الثابتة والتاريخية .

إن هذه الرؤية العلمية والصحيحة تفرض على كل القوى ، وعلى « م . ت. ف » بصورة مضاعفة استحقاقات من الضروري والواجب توفيرها لساحة الفعل الرئيسي ، استحقاقات تشمل الحماية السياسية ، والاسناد المادي ، وتوفير مقومات تصعيد الكفاح ضد الاحتلال ، واستحقاقات تنظيمية ، واعلامية ... علينا أن نبذل كل ما في وسعنا لابقاء شعلة الكفاح في الوطن المحتل متقدة ومتزايدة باستمرار .

المؤتمر الوطني الخامس للجبهة

■ **من المعروف أن الجبهة الشعبية على أبواب انعقاد مؤتمرها الوطني الخامس ، ما هي الآمال المعقودة على هذا المؤتمر؟**

■ ■ إن انعقاد المؤتمر الوطني الخامس للجبهة الشعبية يكتسب أهمية خاصة لكونه ينعقد في ظل العديد من التطورات النوعية العميقة سواء على الصعيد الوطني أم العربي أم العالمي . وكذلك لكونه ينعقد بعد مرور ما يقارب اثني عشر عاماً على انعقاد المؤتمر الوطني الرابع ، مما يعني أنه سيكون أمام جملة من الأسئلة الكبيرة ذات الدلالات الاستراتيجية والحيوية سواء بالنسبة للقضية الوطنية أم بالنسبة للجبهة الشعبية نفسها .

إن التحديات التي يواجهها المؤتمر كبيرة وهامة وعلى ضوء الاجابات والبرامج التي سيخرج بها ستتحدد مسيرة الجبهة الشعبية للأعوام القادمة ...

إن الجبهة كانت تحرص دائماً بأن تشكل مؤتمراتها الوطنية محطات نوعية حقيقية لتقييم مسيرتها ومسيرة النضال الوطني ، وفق رؤية وتحليل نقدي وعلمي ، أي إننا لم نكن ننظر لها كمناسبات احتفالية شكلية لتبادل الخطابات والتهاني .

وعليه فهناك مفاصل أساسية يجب على المؤتمر الوطني الخامس أن يقف أمامها ليحلل ويناقش ويرسم البرامج ويحدد الطريق وشواخصه الرئيسية للمرحلة المقبلة .

لقد قامت هيئاتنا المركزية باعداد كافة الوثائق الخاصة بالمؤتمر وقد قدمت في هذه الوثائق رؤيتها وتحليلها ، كما قامت بمراجعة نقدية صارمة لمسيرتها سياسياً وتنظيمياً وكفاحياً .. الخ . وقد طرحت هذه الوثائق منذ مدة بين يدي القاعدة الحزبية التي درستها وناقشتها وأغنتها بالحوار العميق والجدي من خلال المؤتمرات القاعدية . ويأتي المؤتمر الخامس ليتوج هذه العملية الديمقراطية الأساسية ليخلص بعدها إلى النتائج التي تعبر عن رؤية الجبهة الشعبية وارادة وقناعة قواعدها وجماهيرها .

إن المؤتمر سيكون ولأول مرة أمام الوثيقة البرنامجية والتي جاءت لتعبر عن الرؤية الاستراتيجية للجبهة الشعبية تجاه مختلف جوانب القضية الوطنية ، وبالاستناد للمشروع الكفاحي الذي تؤمن به الجبهة الشعبية .

كما سيحظى العنوان السياسي بأهمية خاصة بحكم التحديات الكبرى التي تواجه شعبنا وقضيتنا في هذه المرحلة الانعطافية النوعية ، كيف سنواجه الهجوم الامبريالي الصهيوني . وكيف سنفشل مؤامرة الحكم الاداري الذاتي . كيف سندير تحالفاتنا في ظل الحراك السريع الدائر في أوساط الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية؟ يجب أن يجيب المؤتمر على هذه الأسئلة وسواها ، بوضوح وحزم .

وهناك العنوان التنظيمي ، إذ أننا ندرك ونعي بأن الجبهة الشعبية كأي جسم وظاهرة حية تحتاج باستمرار إلى تجديد ذاتها ، فعلى مدار السنين الماضية من المؤكد أن هناك العديد من الأخطاء والسلبيات والظواهر الخاطئة التي لحقت بجسم الجبهة بعضها لأسباب موضوعية وبعضها لأسباب ذاتية ، كما أن تطور الجبهة الشعبية وتنامي فعلها وحجمها اضافة إلى ما راكمته من خبرات ودروس لابد وأن يؤدي إلى ارتقاء وعي.

اعضائها وكوادرها وقيادتها ، وبالارتباط بذلك فإن هناك طرائق وبنى واساليب للعمل قد عفى عليها الزمن .

كما أن المهام الجديدة وميادين الفعل الجديدة تحتاج إلى طرائق وبنى وأساليب جديدة ولهذا فإن عنوان التجديد وتعميق الممارسة الديمقراطية في حياتنا الحزبية بالمعنى الشمولي والواسع مطروح أمام المؤتمر بحيث يجب أن يشمل أساليب العمل ، والهياكل التنظيمية والهيئات القيادية ، والتجديد بهذا المعنى لا نفهمه كموضة وكتقليد أعمى لما يدور حولنا ، وانما نراه كضرورة موضوعية وصيرورة طبيعية يجب أن تحكم حياتنا التنظيمية والكفاحية باستمرار .

وهناك أيضاً العنوان النظري ، ويكتسب هذا العنوان مكانة خاصة في الوقت الراهن على ضوء الأحداث العاصفة التي أودت بالمنظومة الاشتراكية وبالاتحاد السوفييتي ، حيث ان الزلزال الذي عصف بالمنظومة الاشتراكية ، أثار الزوابع حول مكانة ودور النظرية الماركسية ـــ اللينينية التي تتبناها الجبهة الشعبية كمرشد لرؤية وتحليل الواقع بالاستناد لمنهجها المادي الجدلي .. اذن فإن المؤتمر مطلوب منه أن يعالج هذا الموضوع ويحدد رؤية وفهم الجبهة الشعبية لموضوع السلاح النظري ، وكيف سنستخدمه في رؤية وتحليل الواقع بدون ميكانيكية ، وبما يستجيب لواقعنا ونضالنا .

هناك أيضاً العنوان العسكري ، والعنوان المالي ، والنظام الداخلي كلها قضايا تحتاج لبحث عميق ودقيق لرسم معالم المستقبل .

باختصار إن المؤتمر الوطني الخامس يجابه العديد من المسائل الأساسية في كافة حقول عملنا ، اننا نعوّل على هذا المؤتمر كثيراً للاجابة على هذه المسائل ، ولهذا فالآمال المعقودة عليه كبيرة ، وهناك الحماسة والايمان والقناعة والارادة لدى قواعد وكوادر الجبهة الشعبية لكي تجعل من هذا المؤتمر وقفة جدية لمحاكمة كافة القضايا بكل حزم ووضوح ، هل سينجح مؤتمرنا ، يا ترى في الاجابة على كل هذه المسائل ، كلنا

أمل بذلك ، إلا أن النتائج الفعلية التي ستتوج أعمال المؤتمر في السياسة والتنظيم والتجديد القيادي ، والأيديولوجيا ، وميدان الكفاح والمال ، والبرنامج ، هي التي ستقرر مدى موضوعية وصحة ودقة هذه الآمال .

النظام السياسي العربي

■ **تعرض النظام السياسي العربي الذي تشكل وساد في عقد الستينات وحتى منتصف السبعينات من هذا القرن ، إلى انهيارات وتغيرات عميقة ، ولم يتشكل بعد نظام جديد ، فما هو رأيكم بهذه الموضوعة ؟ وهل لديكم تصورات لملامح المستقبل ؟**

■ ■ النظام السياسي العربي الذي يتحدث عنه السؤال، المقصود به النظام الذي نشأ وتبلور في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، أي نظام الجامعة العربية ، من الطبيعي أن يكون هذا النظام قد تأثر بالمتغيرات والأحداث التي كانت تعصف بالعالم وبالمنطقة من حين لآخر ، وبالتالي فإنه مرّ بتغيرات ومراحل عديدة: فالناصرية كان لها دورها وتأثيرها على هذا الصعيد ، كذلك بعض الخطوات الوحدوية التي أقدمت عليها بعض الأقطار العربية ... ، إضافة إلى الحروب والمنعطفات السياسية الهامة التي مرت بها المنطقة .... إلا أن هذا النظام أي الجامعة العربية بقي هو الشكل السائد للنظام العربي .

إنَّ صيرورة الواقع والتحولات العميقة التي شهدتها المجتمعات العربية اقتصادياً ، وبالتالي اجتماعياً وسياسياً وثقافياً ، أفرزت نتائج في غاية الخطورة على صعيد الممارسة السياسية للأنظمة العربية ، حيث تراجعت الناصرية بشعاراتها ، وانكفأت حركة التحرر الوطني العربي ، بينما تقدمت البرجوازية التابعة والبيروقراطية التابعة بحيث أصبحت هي الشريحة المهيمنة في العديد من البلدان العربية مما أدى إلى مزيد من التبعية

للامبريالية العالمية وإلى مزيد من القمع لحركة الجماهير ولقوى المعارضة، إن تراكم هذه التحولات العميقة هو الذي قاد إلى محطة كامب ديفيد الخيانية، وزيارة السادات للقدس المحتلة ... لقد كانت هذه الخطوة أعنف هزة يتعرض لها نظام الجامعة العربية ، وما يسمى بالتضامن العربي الذي كان سائداً ، بغض النظر عن شكل وجدية ومضمون هذا التضامن في الواقع .

لقد وجد نظام السادات ان النظام العربي القائم رغم هشاشته بات يشكل قيداً على اندفاعته السياسية نحو أحضان الامبريالية والكيان الصهيوني فاقدم على خطوته النوعية وكسر قشرة هذا النظام ... غير أن تطور الأحداث جاء ليبرهن بأن الموقف الرسمي « الحازم » الذي اتخذته الأنظمة العربية من خطوة السادات في مؤتمر بغداد والقرارات التي صدرت عنه والداعية لمقاطعة نظام كامب ديفيد ، جاءت الأحداث لتبرهن بأن هذا الموقف ، لم يكن سوى موقف مؤقت ، إذ إن تلك الأنظمة نفسها وبعد سنوات قليلة فقط ، عادت تطالب بعودة النظام المصري إلى حظيرة النظام العربي ، ولم يكن لهذه العودة — مع إرث وأثقال كامب ديفيد — سوى معنى واحد ، ولم تكن بأي حال من الأحوال تستهدف تخليص مصر من تبعات كامب ديفيد ، وإنما السير العملي لتعريب وتعميم كامب ديفيد .

هذا ماجاءت التطورات اللاحقة لتثبته بالملموس .

فبعد العاصفة التي مر بها النظام العربي الرسمي اثر دخول العراق الى دولة الكويت والموقف الذي صدر عن الجامعة العربية ، ذلك الموقف الذي شكل الغطاء الرسمي العربي لاستقدام الجيوش الامبريالية الى المنطقة وتدمير العراق ، كل ذلك شكل الانعطافة النوعية التي نشاهدها الآن على الصعيد العربي ، أي حالة التفكك والانهيار الحاصلة والتحاق معظم الأنظمة العربية وانخراطها في المشاريع الامريكية — والصهيونية .

في ظل هذه التعقيدات هل هناك أي أمل لدعوات التضامن العربي التي تصدر بين وقت وآخر من هنا وهناك ، والدعوات التي تدعو لقيام نظام عربي جديد ؟

ان الحقائق الماثلة أمامنا في هذه الحقبة تشير بكل وضوح إلى أن الحديث عن نظام جديد ، انما المقصود به تشكيل نظام يقوم على أساس تشريع وترسيم حالة الانهيار الراهنة ، وليس نظاماً عربياً مقاوماً ومجابهاً للمخططات الامبريالية ، ومتصدياً لسياسات النهب والهيمنة والاذلال التي تُمارس ضد الجماهير العربية . هذا ما قصده بالضبط وزير خارجية المغرب « الفيلالي » عندما أشار بأن النظام العربي السابق قام برعاية بريطانيا ، وكان يريد القول ، بأن الظروف الراهنة باتت تتطلب إنشاء نظام عربي جديد برعاية وقيادة الولايات المتحدة .

غير أن الولايات المتحدة وبالرغم من حالة التهافت التي يعيشها النظام العربي الرسمي الآن ، فإنها لم تعط آذاناً صاغية لمطالب واستجداءات أركان هذا النظام ، فهي تندفع ولا تلوي على شيء إلا لمصالحها ولمصالح الكيان الصهيوني ، ولضمان تدفق النفط وعائداته لجيوبها ، ولهذا فإنها تسعى لترتيب المنطقة وفق رؤية وترتيبات دولية وإقليمية تضمن لها ولأقصى حد الحفاظ على مصالحها الاستعمارية إنها ليست مهتمة كثيراً بما يسمى بالنظام العربي ، وليست معنية بهذا الأمر إلا بالقدر الذي يتيح لها تشديد هيمنتها ونهبها ، لثروات المنطقة واخضاع شعوبها وقطع الطريق على أية محاولة للنهوض ، وتكريس المشروع الصهيوني في المنطقة كأمر واقع ونهائي ، على ضوء ذلك فإن نظاماً عربياً جديداً يقوم الآن دون أن يكون مستنداً إلى تغيرات جدية وعميقة في طبيعة وبنى الأنظمة العربية القائمة سيكون في النهاية جزءاً من النظام الأمريكي المهيمن .

ان هذا لا يعني بأننا سنقف ضد أية محاولات تدعو للتضامن العربي ، إننا مع تحسين الأوضاع مهما بدت هذه التحسينات ضئيلة وبسيطة ..

ولكن يجب أن يكون واضحاً بأن ما نعنيه بالنظام العربي الجديد حقاً ، هو ذلك النظام الذي يستند إلى الجماهير ويدافع عن حقوقها ، ذلك النظام الذي ينطلق من مصالح أمتنا القومية ، سياسياً ، واقتصادياً ، وثقافياً ... نظام مناهض للهيمنة الامبريالية ، ويدعو للحفاظ على ثرواتنا الاقتصادية القومية ، نظام يتجه نحو تعزيز الديمقراطية ويسير باتجاه بناء الوحدة العربية كرد على حالة الشرذمة والتمزق السائدة ،

نظام معاد قولاً وعملاً للمشروع الصهيوني ويعد العدة لاجتثاثه ... إلى آخر ما هنالك من عناوين تهم أمتنا العربية .

إن مثل هكذا نظام لا يمكن أن يقوم إلا بفعل حالة نهوض جماهيري ، وبقيادة حركة تحرر وطني عربي تخوض المواجهة بكل عزم ضد الهيمنة والتبعية والرجعية السياسية والاجتماعية ، حركة تحرر لها موقف وشعارات وبرنامج واضح تجاه مسألة الديمقراطية والوحدة العربية ، مع الاستعداد لتقديم استحقاقات هذا البرنامج في الممارسة العملية ، حركة تحرر صلبة معادية بوضوح للغزوة الصهيونية ... بهذا فقط يمكننا أن نأمل بقيام نظام عربي جديد ، وبالرغم من قتامة اللحظة الراهنة ، إلا أن الواقع العربي القطري والقومي يحمل من التناقضات وعوامل النهوض والتمرد على حالة الانهيار الراهنة ما هو كفيل بإبقاء شعلة الأمل لتغيير هذا الواقع مهمة راهنة على جدول أعمال القوى الوطنية والقومية والتقدمية إضافة للقوى الاسلامية المعادية للامبريالية .

■ أحداث عاصفة حصلت على الصعيد الدولي ، على ضوء ذلك كيف تحركت لوحة التناقضات عالمياً ؟ وأين موقع حركات التحرر الوطني العالمية والعالم الثالث ارتباطاً بذلك ؟

■ ■ من المؤكد بأن الأحداث العاصفة التي شهدتها الساحة الدولية في العقد الأخير ، لا بد وأن تترك بصمات عميقة وواضحة على لوحة التناقضات الدولية ، فما جرى كان في غاية الأهمية والعمق .... لقد انهارت المعادلة التي كانت تحكم العالم منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، أي نظام القطبين الجبارين ، وذلك بانهيار وتفكك المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفييتي ، إضافة إلى الانتصار الحاسم للنظام الرأسمالي العالمي في الحرب الباردة ... كل ذلك وسواه أفرز جملة من الظواهر والحقائق بعضها تبلور بصورة كافية وبعضها لا يزال قيد التبلور وبعضها الآخر لا يزال في طي المستقبل .

لقد خرجت الولايات المتحدة من المواجهة كقطب أقوى ، وقد عززت من

مكانتها أكثر ، إثر حربها العدوانية على العراق ، الأمر الذي ترتب عليه تعميق وتشديد هيمنتها في الخليج والتحكم بالنفط العربي ... إن الانتصار الذي أحرزته البلدان الامبريالية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية فتح شهية الأخيرة على ترسيم هيمنتها كقطب جبار أوحد عالمياً ... فبدأت تتحدث عن ضرورة تشكيل نظام عالمي جديد ... وبالرغم من أن حدود بنى هذا النظام لم تتحدد بعد ، غير أن جوهره ومضامينه المتمثلة بالهيمنة وترتيب أوضاع العالم بما يتلاءم والمصالح الامبريالية بات واضحاً وملموساً .

إن انهيار الاتحاد السوفييتي بقدر ما أراح النظام الرأسمالي العالمي من ذلك الجبار الاشتراكي الذي كان يثير الخوف في أوساط البلدان الرأسمالية ، فإنه دفع بالتناقضات بين الأقطاب الامبريالية [أمريكا ، وأوروبا الموحدة ، واليابان بكل جبروتها الاقتصادي] إلى مستويات أعلى ، وليس أدل على هذه التناقضات من تنامي الحرب التجارية والجمركية بين المراكز الثلاثة ، عدا عن التناقضات القائمة داخل المجموعة الأوروبية نفسها ، فيما بين الدول المتطورة والدول الأقل تطوراً ...

ولا يغيب عن البال الصين وما تبقى من البلدان الاشتراكية ، فهي لا تزال تشكل تحدياً مهماً أمام الهجوم الامبريالي المتواصل على الاشتراكية . ناهيك عن التناقضات الناشئة داخل البلدان الاشتراكية السابقة واحتدام الحروب الأهلية ذات الأبعاد الطائفية أو الاثنية أو القومية .

أما التناقض بين البلدان الامبريالية والعالم الثالث ، فإنه تقدم خطوات كبيرة للأمام ، بحكم النهب الذي تتعرض له شعوب وثروات هذه البلدان .

ولعل مشكلة ديون العالم الثالث التي وصلت إلى حدود تفوق الخيال ، وما يترتب عليها من فوائد فلكية ، هي أبرز وأسطع مثال على حدة التناقض بين هذه البلدان وبين البلدان الامبريالية المتطورة ، هذا عدا عن التدخلات العدوانية السافرة في شؤونها ، وتفجير الصراعات الداخلية والصدامات القومية والعرقية ، والتهديد بتمزيقها جغرافياً إلى ما يشبه الاقطاعيات .

غير أنني وبالرغم من التناقضات العديدة التي تجلت بصورة أوضح بعد انهيار المنظومة الاشتراكية فإنني ما زلت أرى بأن التناقض الأساسي الذي لا يزال يحكم على الصعيد العالمي ، هو التناقض بين العمل ورأس المال ، حيث تتزايد تجليات هذا التناقض داخل البلدان الرأسمالية ، وعلى الصعيد الكوني ، في ظل تزايد عولمة الرأسمال وتعمق مظاهر النهب للشعوب ولطبقات الكادحين بصورة أكثر فأكثر . فبقدر ما ان الرأسمال يندفع لاحكام قبضته واحتكاراته على الثروات الطبيعية لشعوب العالم ، بقدر ما يشدد من نهبه لعمال وكادحي هذه الشعوب .

انني في الوقت الذي أؤكد فيه على مكانة التناقض الأساسي على الصعيد العالمي ، فإنني أرى بأن التناقض الرئيسي على الصعيد الكوني يتجلى في هذه المرحلة بين العالم الثالث ، وحركات التحرر الوطني من جهة وبين البلدان الامبريالية العالمية من جهة أخرى .

فأوضاع بلدان العالم الثالث وشعوبها في آسيا وافريقيا ، وأمريكا اللاتينية تزداد بؤساً ، وتتعرض ثرواتها وطاقاتها للنهب الامبريالي البشع ، وتتعرض بصورة مباشرة لتدخلات عدوانية سافرة من قبل الامبريالية الأمريكية هذا ما حصل في بنما ، وغرينادا ، وفي الخليج عدا عن التدخلات الأقل سفوراً في شؤون بلدان أوروبا الشرقية (في بلدان رابطة الدول المستقلة ، وفي يوغسلافيا ...) إن الفقر والجوع والمرض والجهل يفتك بشعوب هذه البلدان وتأكلها النزاعات والاحتراب الأهلي الذي تغذيه الدوائر الامبريالية .. وعليه فإن التناقض الرئيسي موضوعياً هو بين هذه البلدان وبين الامبريالية التي تحول دون أية محاولات لنهوض ديمقراطي ـــ اقتصادي ـــ اجتماعي في هذه البلدان .

وبالرغم من وضوح هذا التناقض وعوامله المؤثرة ،غير ان ضعف العامل الذاتي المعبر عن هذا التناقض والمتمثل في ضعف حركات التحرر وضعف المجابهة للمخططات الامبريالية هو الثغرة الأساسية على هذا الصعيد إن شعوب العالم الثالث

إذا ما أرادت التقدم وإيجاد الحلول لمشاكلها العديدة والمتفاقمة فليس أمامها من طريق سوى الاعتماد أولاً وعاشراً على قواها الذاتية ، وإيجاد مقومات تنمية هذا العامل على مختلف المستويات ، سياسياً، تنظيمياً، وكفاحياً. وتعزيز التضامن فيما بينها لتشكيل جبهة عالمية واسعة مجابهة للعدو المشترك ■ ■

لنستفتِ الشعب لمعرفة رأيه بالحكم الذاتي والسقف السياسي المطروح لحل القضية الفلسطينية

☆ اجرى الحوار ماهر الشريف ـ مجلة « صوت الوطن »
١٥/١٠/١٩٩٢ ـ العدد ٣٨

■ **عبر تجربتك النضالية الطويلة والغنية ، تحولت ومعك الجبهة الشعبية ، من الفكر القومي إلى الفكر الماركسي ، من كتابات ساطع الحصري وقسطنطين زريق إلى كتابات ماركس ولينين ، وسؤالي : هل ما زلت متمسكاً بالماركسية ، رغم كل ما جرى ؟ وكيف يمكن أن تتعامل معها الآن ، هل هي مرجعك الفكري الوحيد ، أم هي أحد مراجعك الفكرية ؟ وما رأيك بالدعوة إلى صياغة فكر ثوري عربي يستند إلى مرجعيات فكرية عديدة ؟**

■ ■ إن تجربتي النضالية لم تنبثق من هواية أو رغبة في احتراف العمل السياسي ، لم تنبثق مما يمكن تسميته بالترف الفكري ، الذي قد يلجأ إليه بعض المثقفين ، تجربتي النضالية انطلقت من واقع أليم ومرير ، ربما بدونه كنت قد اخترت طريقاً آخر مختلفاً كلياً عن الطريق الذي اخترته . لقد وجدت نفسي فجأة خارج أرضي ووطني مشرداً ، ولو لحظات ولو قصيرة بقيت في الخيام ، وكان من الطبيعي على ضوء تكويني النفسي السيكولوجي أن أقوم بواجبي وانخرط في درب النضال لمواجهة الغزاة واسترداد الوطن .

بعد النكبة وتشريد الشعب الفلسطيني وهزيمة الجيوش العربية السبعة أمام العصابات الصهيونية ، كان المناخ العربي العام برمته يعتبر المأساة الفلسطينية مأساته ، كل الصحافة العربية في المشرق والمغرب كانت تتحدث عن الهزيمة التي لحقت بالعرب ، بكل العرب ، وتتحدث عن ضرورة الرد من خلال الأمة العربية كلها . وفي ظل هذا المناخ الجماهيري العربي كانت تجربتي السياسية الأولى ، من خلال حركة القوميين العرب ، وما أريد تأكيده هنا هو أن إيماني بالقومية والوحدة العربية كطريق للتقدم والنهوض واسترداد فلسطين لم يتغير ، وبقي من الثوابت ، رغم مرور نصف قرن على تجربتي النضالية وما حملته من أحداث وتطورات وما أحرزته من دروس وتجارب .

إن التحول بالنسبة لي شخصياً لم يكن يعني الانتقال من الإطار القومي ، بل كان وما زال يعني أخذ واستيعاب ما أفرزته تجربة حركة القوميين العرب من دروس وعبر ، فالأحداث التي مرت بها الساحة العربية وتجربة الحركة ، وتجربتي الشخصية في إطارها ، أفرزت موضوعات أساسية نظرية وسياسية فرضت نفسها على أي انسان ، يتعاطى مع الأحداث بشكل علمي ، أن يأخذها بعين الاعتبار ،عندما انطلقت

حركة القوميين العرب لم ترفع شعار الاشتراكية ، ولم تتناول موضوع الصراع الطبقي ، وكانت ترى أن مثل هذه الشعارات مؤجلة لما بعد تحرير فلسطين ، وأتت التجربة الناصرية بعد ذلك التي ألتفت حولها الجماهير العربية على أساس تحقيق الوحدة والتحرير ، لتعزز رؤيتنا القومية ، ولكن بعد ذلك حصل حدثان تاريخيان كبيران تركا أعمق الأثر في تفكيري ، الحدث الأول : الانفصال عام ١٩٦١ وانهيار تجربة الوحدة بين مصر وسوريا ، فهذا الحدث جعلني أرى بأم عيني المؤامرة التي حاكتها القوى الرجعية والبرجوازية ضد الوحدة فبدأت تنغرس في ذهني المسألة الطبقية وموضوع الاشتراكية وربط النضال القومي بالنضال الاجتماعي ، إن مؤامرة الإنفصال طرحت في ذهني سؤالاً ، هل أبقى في نضالي لاسترداد فلسطين مراهناً على الوحدة العربية فقط ، أم أنه أصبح من الضروري الاهتمام والتركيز على العمل الوطني مرتبطاً بالإطار القومي ؟ خاصة أنه وفي تلك الفترة بالذات ترافق حادث الانفصال بانتصار الثورة الجزائرية ، حيث بدأت الجماهير الفلسطينية تستشعر أهمية قيامها بدور طليعي خاص في تحرير وطنها ، أما الحدث الثاني فقد تمثل بصدمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ فرغم الانفصال ، وما أثاره في الذهن من تفاعلات كبيرة . فقد بقيت المراهنة على عبد الناصر والتيار الناصري ، حيث بقيت الجمهورية العربية المتحدة قوة كبيرة في المنطقة . وكانت المراهنة على قوتها العسكرية توحي للعرب وللفلسطينيين بشكل خاص إن هذه القوة هي التي ستستند لها في تحرير فلسطين وتحقيق الوحدة العربية ، لكن هزيمة حزيران بنتائجها المأساوية شكلت مفاجأة مذهلة وصدمة كبيرة لكل هذه الأحلام ، فلم تعد المراهنة على الجيوش النظامية العربية ، بل بدأ التفكير بموضوع المراهنة على الجماهير المسلحة وحرب الشعب وأهمية الأدوات التنظيمية والتعبئة الجماهيرية ، لأن أبرز خطأ وقعت فيه التجربة الناصرية ، تاريخياً ، افتقارها للأداة والصيغة الديمقراطية والتنظيم الذي يعبىء الجماهير ويقودها ويحافظ على مكتسباتها ، خاصة أنها رفعت شعارات الاشتراكية ، بما فيها شعار الاشتراكية العلمية ، وبشكل خاص بعد تجربة الانفصال ، مما كان يتطلب ضرورة تعبئة القوى الشعبية ذات المصلحة في الاشتراكية للوقوف في وجه مؤامرات القوى الرجعية .

إنّ هزيمة حزيران بلورت في ذهني بوضوح كامل أهمية النضال القطري ضمن الإطار القومي وأهمية بلورة الأداة التنظيمية التي تعبىء الجماهير . صانعة التاريخ ، كما بلورت بوضوح أعمق أهمية المسألة الطبقية ، وكل هذا مهد الطريق لتأسيس الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين واعلان تبنيها لنظرية الطبقة العاملة ، النظرية الماركسية ــ اللينينية .

إن ما أريد تأكيده هنا نقطتان أساسيتان الأولى : هي أن التحول بالنسبة لي تم دون أن يتناقض أو يضرب منطلقات أساسية آمنت بها ولا زلت وفي مقدمتها الوحدة العربية كضرورة موضوعية للجماهير العربية وتحرير فلسطين من سرطان الصهيونية . الثانية : إن التحول بالنسبة لي لم يأت عن طريق الكتب فقط ، بل ارتبط بالدرجة الأساسية بالتطورات والتجارب والأحداث الحية ومحاولة قراءتها بطريقة علمية سليمة .

إنَّ من يؤمن بالماركسية عن هذا الطريق لا يمكن أن يرتد عنها . وبصدد الشق الآخر من سؤالك حول كيف أتعامل اليوم مع الماركسية ؟ وهل هي مرجعي الوحيد أم أحد المراجع ؟ فإنني أقول إنني متمسك بالماركسية كما فهمها ماركس ولينين : وإذا كنت تقصد بالمرجعية المنهج الذي اعتمد عليه في قراءة الواقع والأحداث والتاريخ ، فإن مرجعي هو المنهج الماركسي الذي يجب تطبيقه بصورة خلاقة على واقعنا وبيئتنا والمرتبط بتراثنا وتاريخنا وحضارتنا ، بحيث نستطيع انتاج فكر عربي ثوري خلاق مستند للمنهج العلمي ومرتبط بطموحات وأهداف وتطلعات الجماهير العربية .

شعار ومهمات المؤتمر الخامس

■ في المؤتمر الرابع للجبهة الشعبية ، الذي انعقد في ربيع العام ١٩٨١ . طرحتم الشعار التالي « المؤتمر الوطني الرابع خطوة هامة على طريق التحول لبناء الحزب الماركسي ــ اللينيني والجبهة الوطنية الفلسطينية المتحدة وتصعيد الكفاح المسلح وحماية وجود الثورة وتعزيز مواقعها النضالية ، ودحر نهج التسوية والاستسلام ، وتعميق الروابط الكفاحية العربية والأممية »وسؤالي : ما هو الشعار الرئيسي الذي قد يرفعه المؤتمر الخامس للجبهة ، والذي من المقرر عقده خلال الأشهر القليلة

القادمة ، وما هي المهمات الملموسة التي سيطرحها ، بالمقارنة مع الشعار الذي رفعه المؤتمر الرابع والمهمات التي طرحها ؟

■ ■ حتى الآن لم تحدد الهيئات المركزية رسمياً شعار المؤتمر الوطني الخامس للجبهة ، لقد انهمكت الهيئات المركزية حتى هذه اللحظة في اعداد الوثائق الأساسية التي سيقف أمامها المؤتمر ، فمن الواضح لنا جميعاً أننا أمام مرحلة جديدة بكل معنى الكلمة ، وأول ما نحتاج إليه في هذه المرحلة الجديدة هو الرؤية الواضحة للأمور ، أي بلورة وصياغة الوثائق التي تحدد الدليل النظري والسياسي والتنظيمي والعسكري الذي يوجه مسيرتنا ، وبدون ذلك لا يكون المؤتمر قد أدى مهمته بالشكل الصحيح ، فنحن في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أعلنا منذ عام ١٩٦٧ تبنينا للنظرية الماركسية اللينينية . وعلى ضوء الزلزال والانهيار المريع الذي جرى في العديد من البلدان الاشتراكية السابقة والاتحاد السوفييتي ، من الطبيعي أن نواجه أسئلة وتساؤلات كبرى وعميقة حول هذا الموضوع ، موضوع الماركسية — اللينينية ، وخاصة أن العدو الامبريالي يحاول أن يغتنم هذه اللحظة السياسية من التاريخ ليعلن موت الماركسية وتأكيد خطئها من الأساس .

إن مؤتمرنا لا يستطيع أن يتجاهل الوقفة الدقيقة والمسؤولة والعلمية أمام هذا الموضوع الكبير ، فهل نستمر في التعاطي مع المسألة النظرية وكأن شيئاً لم يكن ونغلق عيوننا عن رؤية التطورات الانعطافية التي حصلت ، أم نحاول استخلاص الدروس التاريخية والكبرى التي تحدد فهمنا للنظرية الماركسية والتي نصر على الاستمرار في تبنيها والاسترشاد بها وفق الفهم الحي والنقاد والديالكتيكي ، الذي طرحه روادها ومؤسسوها ؟ ما هو الصحيح الذي زكته الحياة في هذه النظرية ، وما هي الجوانب التي شاخت وتحتاج إلى تطوير ؟

إن كل هذا الموضوع — المسألة النظرية — سيقف أمامه المؤتمر بكل مسؤولية وعلمية من خلال وثيقة نظرية تم اعدادها واقرارها من اللجنة المركزية سيتم تقديمها للمناقشة الحرة والصريحة والجادة ، وهذه الوثيقة تحدد فهمنا في الجبهة الشعبية للماركسية بأنها مرشد للعمل وليست عقيدة جامدة ، وهنا يهمني أن أشير ، وهذا

ما توضحه وثائق مؤتمراتنا السابقة وخاصة الاستراتيجية السياسية والتنظيمية ، التي تم اقرارها في شباط ١٩٦٩ . بأننا لم نفهم في يوم من الأيام ، الماركسية ، على أساس دوغمائي أو على أساس أنها قوالب وصيغ جاهزة نأخذها من هذا الطرف أو ذاك . ففي الاستراتيجية السياسية والتنظيمية — وهي الوثيقة الصادرة عن مؤتمرنا الوطني الثاني الذي عقد في شباط ١٩٦٩ — أعتبرنا أن الماركسية كسلاح نظري ثوري رهن بكيفية فهمها من ناحية وبصحة تطبيقها على واقع معين ومرحلة معينة من ناحية أخرى ، وإن جوهر الماركسية هو النهج الذي تمثله في رؤية الأمور وتحليلها وتحديد اتجاه حركتها ، واسمح لي أن اعتبرها فرصة ، قبل انعقاد مؤتمرنا القادم ، لأوضح عبر مجلتكم « صوت الوطن » ، التي أكنّ لها وللعاملين بها كل التقدير والاحترام ، واعبر عن فهمنا من الأساس ، وليس بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ، للماركسية ، وسنؤكد هذا الفهم في المؤتمر الوطني الخامس عبر الوثيقة النظرية التي أشرت إليها ، والتي تحمل المزيد من مضامين التطور على ضوء المعارف النظرية والعلمية والخبرات التي اكتسبناها منذ عام ١٩٦٩ وحتى اليوم .

إن وقفتنا أمام دليل العمل الواضح ، أمام الوثائق ، لن تقتصر على الموضوع النظري ، أي الوثيقة النظرية ، رغم الأهمية الخاصة لهذا الموضوع ، بل ستشمل الجوانب الأخرى السياسية والتنظيمية والعسكرية والمالية ، فعلى الصعيد السياسي ، ولا يعيبني قول هذا الكلام ، فإن الجبهة الشعبية ، حتى هذه اللحظة ، ليس لديها برنامج سياسي بالمعنى العلمي الدقيق لعبارة البرنامج ، وهذا لا يعني أننا كنا نسير طيلة الفترة السابقة بشكل عفوي . فقد كان للجبهة ، منذ مؤتمرها الثاني عام ١٩٦٩ . استراتيجيتها السياسية والتنظيمية التي حددت ما يمكن أن نسميه نقاطاً برنامجية تسير الجبهة على أساسها .

وفي المؤتمر الثالث والرابع كان لدينا وثائق وتقارير سياسية تحدد مواقفنا ورؤيتنا السياسية ومهماتنا ، ولكن الآن ، ونحن على أبواب المؤتمر الوطني الخامس ، نرى أنه قد حان الوقت لبلورة وصياغة برنامج سياسي يشكل الأساس بالنسبة لأي حزب يطمح

بأن يكون له دور تاريخي بالنسبة للساحة التي يناضل فيها ، وقد تم اعداد هذا البرنامج الذي سيقدم للمؤتمر . وبعد ذلك سنقف أمام التطورات الدراماتيكية والانعطافية الكبرى التي حصلت ما بين المؤتمر الوطني الرابع وهذا المؤتمر ، وخاصة التطورات التي حصلت خلال السنوات الأربع الأخيرة ، وفي مقدمتها انهيار المنظومة الاشتراكية والاتحاد السوفياتي ، الذي شكل سنداً استراتيجياً للثورة الفلسطينية ، والذي أيد بقوة البرنامج الوطني لمنظمة التحرير الفلسطينية ، برنامج العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

لقد حصل تغيير نوعي على الصعيد العالمي ، وانتقلنا من عالم القطبين إلى عالم القطب الواحد ، في هذه اللحظة السياسية على الأقل . ومعروف أن عالم القطبين كان فيه عالم يؤيد قضيتنا ، الآن القطب الأميركي يقف بكل ثقله إلى جانب اسرائيل في ظل انهيار القطب الآخر ، أي تغيير يمكن أن يحصل أكبر وأضخم من هذا التغيير ؟ صحيح أن أوروبا الغربية واليابان لهما موقف أفضل من أميركا إزاء قضيتنا ، لكن من الواضح أن الإدارة الأميركية هي المتحكمة بأمور المنطقة في الظروف الراهنة ، ويا ليت الأمر اقتصر على هذه التطورات العالمية ، فقد حصلت تطورات نوعية على الصعيد العربي أيضاً ، وأقصد هنا حرب الخليج وما أفرزته من نتائج كبيرة وخطيرة بحيث أصبحنا أمام وضع عربي رسمي متآكل ، ألعوبة بيد أمريكا ، وهذا وضع جديد بكل معنى الكلمة ، فبعد كامب ديفيد انعقدت قمة بغداد التي حاولت أن تضع حاجزاً أمام الانهيار . ومع توغل خيانة السادات تشكلت جبهة الصمود والتصدي ، وبعد انهيارها ظهرت إمكانيات العراق وقدراته التي شكلت أملاً للصمود ، ولكن على ضوء حرب الخليج الأخيرة ، أصبحنا أمام وضع عربي رسمي منهار يضغط علينا بكل قوة للسير باتجاه الحل الأميركي .

أمام كل هذه التطورات العالمية والعربية وجدت الإدارة الأميركية أن فرصتها قد لاحت لاستباحة المنطقة وتصفية القضية الفلسطينية والصراع العربي ــ الاسرائيلي ، فجاءت جولات بيكر التي تلاها مؤتمر مدريد ومفاوضات واشنطن وفق ميزان قوى

مختل تماماً لصالح العدو يحاولون من خلاله انهاء أي شكل من أشكال المقاومة لمخططاتهم ومشاريعهم .

عندما اندلعت الانتفاضة ، لم تكن كل هذه التطورات العاصفة قد حصلت ، ويومها رفعت الانتفاضة شعار الحرية والاستقلال ، والانتفاضة والحمد لله ما زالت قائمة ومستمرة ، ولكن كل هذه التطورات التي اتينا على ذكرها ألا تترك آثارها على الانتفاضة والنظرة لها وشعاراتها ؟؟ كل هذه الموضوعات سيقف أمامها التقرير السياسي للمؤتمر الوطني الخامس للجبهة .

أعود الآن للإجابة عن السؤال المحدد الذي يتناول موضوع شعار المؤتمر والمهمات المحددة مقارنة بالمؤتمر السابق ، أعتقد أن هذا السؤال ، يحمل ضمناً توجيهاً محدداً ، وأنا أقبل بهذا التوجيه واستفيد منه ، وأوافق على ضرورة أن يقف مؤتمرنا أمام شعار ومهمات ملموسة ومحددة ، وأن لا نكتفي بالمهمات الاستراتيجية وبعيدة المدى .

على صعيد الشعار ، فإنني سأقترح ضرورة التصدي الفاعل للمخطط الأميركي الاسرائيلي التصفوي وحماية الانتفاضة واستمرارها وتكثيف التصادم مع الكيان الصهيوني وتعميق البعد القومي للقضية الفلسطينية وتحويل جبهتنا إلى حزب جماهيري فاعل وعريض والتجديد وتعميق الديمقراطية .

أما على صعيد المهمات ، فإنني سأدعو إلى الترجمة الدقيقة والخلاقة والجادة لكافة المهام الواردة في الوثائق المقدمة للمؤتمر القادم .

■ كان « التحول » من تنظيم ديمقراطي ثوري إلى حزب ماركسي لينيني هو عنوان الفترة الواقعة ما بين المؤتمرين الثالث والرابع للجبهة (١٩٧٣ ــ ١٩٨١) ، وفي نهاية عام ١٩٨٧ . وبمناسبة الاحتفالات بالذكرى العشرين للجبهة الشعبية ، أشرت إلى أن الجبهة الشعبية قد استكملت مهمة التحول . وسؤالي : كيف تحدد طبيعة الجبهة الشعبية وموقعها ، اليوم ، في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية ؟ وهل

ترى ضرورة لمراجعة الموقف من ظاهرة التحول ، في ضوء الأسئلة والإشكالات الكبيرة المطروحة على اليسار ، بعد التغيرات العاصفة التي شهدناها ؟

■ ■ قبل كل شيء ، أرى من الضروري أن أحدد في إجابتي عن هذا السؤال ، موضوع كيف فهمنا عملية التحول أصلاً ؟ إننا بصراحة كاملة ووضوح ، لم نفهم عملية التحول على أساس أن نصبح نسخة كربونية مكررة للأحزاب الشيوعية العربية ، كما لم نفهم عملية التحول على أساس أن نردد ما تقوله موسكو ، فأي مراقب لمسيرة الجبهة ، بشكل عام ، ومسيرتها السياسية بشكل خاص ، يستطيع أن يستنتج صحة ما أقول . نحن فهمنا عملية التحول على أساس أنها تبنٍّ واستيعاب لنهج علمي في قراءة وتفسير التاريخ والأحداث والنظرة للعالم ، منهج علمي لقراءة وتحليل أوضاع ومعطيات الساحة الفلسطينية والعربية والعالمية ، نحن فهمنا التحول على أساس دراسة الماركسية بصورة حية ومحاولة تطبيقها على واقعنا الملموس ، ودراسة ابداعات لينين الشمولية ، وخاصة في حقل التنظيم والعمل الجماهيري والاستفادة منها في بناء حزبنا ، وعلى هذا الأساس قلت أننا أكملنا التحول ، وكنت وما زلت أعني أننا أكملناه بالمعنى النسبي ، لأن الماركسية نظرية النسبية ، بالتالي بعد سنوات طويلة نسبياً من التثقيف والدورات النظرية التي شملت القسم الأكبر من قيادات الجبهة وكوادرها تجرأت على القول أننا أكملنا عملية التحول . أعتقد تماماً أننا لو فهمنا أن عملية التحول تعني الإنضواء تحت مظلة الأحزاب الشيوعية والاتحاد السوفياتي السابق لكان من الضروري ، كما أرى ، أن نقف أمام اعادة نظر في تقويم موضوعة التحول أصلاً ، إلا أنني ، وعلى ضوء الفهم الذي أشرت إليه ، أظن أن موضوع التحول بالمعنى العلمي الذي فهمناه ومارسناه شكل نقلة ايجابية بالنسبة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .

وفيما يتعلق بالخريطة الفلسطينية ، وطبيعة الجبهة الشعبية وموقعها اليوم في إطار الحركة الوطنية الفلسطينية ، فإن الجبهة ، على ضوء هويتها النظرية وتركيبها الطبقي وبنيتها التنظيمية الداخلية تعتبر قوة يسارية ضمن إطار م.ت.ف ، ويهمني أن أشير إلى أنه على الصعيد السياسي ، فإن ما ميز الجبهة تاريخياً هو أنها كانت باستمرار تقف على

يسار الموقف الرسمي لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، خاصة عندما كانت قيادة المنظمة تغازل أحياناً أو تنزلق أحياناً أخرى في التعاطي مع الحلول الأميركية ، كما حصل بعد خروجنا من بيروت أو كما حصل حالياً . إلا أنني ومن جانب آخر أرى أن الأمانة العلمية تقتضي مني أن اعترف أن الجبهة الشعبية سابقاً كانت تكتفي بتسجيل الموقف السياسي الاستراتيجي ، دون أن تربط هذا الموقف الاستراتيجي بالمواقف التكتيكية التي لا بد منها والتي يتم تحديدها على ضوء جملة من العوامل ، وفي مقدمتها ميزان القوى والظروف العربية والدولية المحيطة . ولكن من خلال التجربة والتطور أصبحت الجبهة تربط ربطاً جدلياً واضحاً ما بين الموقف التكتيكي والموقف الاستراتيجي ، وهذا ما ستلاحظونه في البرنامج السياسي المقدم للمؤتمر الوطني الخامس .

أما بصدد الشق الأخير من سؤالك حول مراجعة الموقف من ظاهرة التحول ، على ضوء الاشكالات الكبيرة المطروحة على اليسار ، فإنني أرى ضرورة التأكيد على صحة هذه الموضوعة ، على ضوء الفهم الذي قدمته وأشرت إليه ، ولا أرى مكاناً وأي ضرورة لإعادة النظر بهذا الموضوع ، وهذا لا يعني بطبيعة الحال إغلاق عيوننا عن المتغيرات العاصفة التي حصلت في العالم ، ومعرفة كيفية التعامل معها بشكل علمي ومنفتح .

■ **كانت مؤتمرات الجبهة الشعبية ، على الدوام ، مناسبة للقيام بمراجعة نقدية لتجربة الفترة الواقعة ما بين مؤتمرين .. ما هي ، في تقديرك ، المواقف والسياسات والتكتيكات التي ستحتاج إلى مراجعة نقدية من قبل مندوبي المؤتمر الخامس ؟**

■ ■ هذا السؤال ، تجد الجواب الواضح عنه في وثائق مؤتمرنا الخامس . حيث يحصر التقرير السياسي المقدم للمؤتمر لمجموعة الأخطاء التي رأت اللجنة المركزية أن الجبهة قد وقعت بها خلال الفترة الفاصلة ما بين المؤتمرين . هذا الموضوع لا يشمل

الجانب السياسي فقط ، بل يتضمن كافة الجوانب التنظيمية والعسكرية والمالية .. الخ .

فعلى الصعيد السياسي ، سجلنا بعض الأخطاء ، سأشير هنا لبعض الأمثلة ، مثلاً ، أثناء وجود مركز الثورة القيادي في لبنان ، كنا نتوقع — وهذا ما ورد في التقرير السياسي للمؤتمر الرابع — أن الثورة الفلسطينية ستجري محاولات ضربها وتصفيتها عن طريق الجيش اللبناني ، على ضوء تحليل وحيثيات سجلناها في حينه ، ولكن بعد المؤتمر ، ضربت الثورة وهذا صحيح ، لكنها لم تضرب على يد الجيش اللبناني . بل ضربت عن طريق الاجتياح الاسرائيلي لبيروت ، وهو الأمر الذي لم نكن نتوقعه . هذا درس يجب أن نستفيد منه ، وهذا الدرس تعلمنا منه أنه من الخطأ اعطاء تنبؤات تفصيلية ومحددة لسير وتطور الأحداث السياسية ، بل أنه يكفي تحديد الأمور بشكل توجهات عامة دون الخوض في التفاصيل . مثل آخر ، يمكنني الإشارة إليه ، يتعلق بتحليلنا ورؤيتنا لمسار البرجوازية الفلسطينية بعد الخروج من بيروت وتوقيعها على اتفاق عمان ، حيث توقعنا انهيارها النهائي ، مما ترتب عليه تشكيل جبهة الانقاذ الفلسطينية ومشاركتنا بها ، لكن الأحداث اللاحقة برهنت على إمكانية استعادة الوحدة الوطنية وإلغاء اتفاق عمان . صحيح أنني كنت ولا زلت أعتقد بأن هذا النهج السياسي للقيادة المتنفذة في منظمة التحرير الفلسطينية سيؤدي في النهاية ، وفي حال استمراره ، إلى الغرق في مستنقع الحلول الأميركية المتناقضة مع مصالح الشعب الفلسطيني ، لكن يجب أن نميّز بين التحليل الاستراتيجي والمعطيات المحددة في كل مرحلة من المراحل .

هذه أمثلة على بعض الأخطاء التي وقعنا بها وليس كل الأخطاء . لكنني أعتقد أنها أخطاء تكتيكية لم تؤثر على جوهر موقف الجبهة السياسي كقوة مناهضة للامبريالية والصهيونية وحريصة على الوحدة الوطنية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، وحريصة على معالجة التناقضات داخل الساحة الفلسطينية ضمن إطار قانون « وحدة — صراع — وحدة » .

وحدة اليسار

■ **كنت تعبر دوماً عن ايمانك العميق بضرورة وحدة اليسار الفلسطيني ، وصولاً إلى اندماج فصائله في حزب واحد .. وسؤالي : هل ما زلت مؤمناً بهذه الضرورة ؟ وهل تعتقد بأن التغيرات العاصفة التي شهدناها ، وما تركته من انعكاسات على فصائل هذا اليسار ، تجعل مهمة تحقيق وحدته أسهل أم أعقد ؟ وما هي في تصورك الخطوات العملية الملموسة لبلوغ هذا الهدف ؟**

■ ■ أعتقد أن هذا السؤال كبير واستراتيجي وهام ، ومطروح بقوة على كافة القوى اليسارية والديمقراطية في الساحة الفلسطينية ، ومطروح منذ فترة طويلة ، ولكن للأسف لم نستطع أن نحقق خطوات ملموسة وكبيرة على هذا الصعيد ، ولا أريد ، الآن ، أن أخوض في تحليل الأسباب الموضوعية والذاتية الكامنة وراء ذلك ، لكنني أدعو كافة القوى المعنية للوقوف الجاد أمام هذا الموضوع الذي من المفروض أن نقف أمامه في مؤتمرنا الخامس بكل جدية ومسؤولية . نعم ما زلت أؤمن بضرورة وحدة اليسار الفلسطيني ، ومن الطبيعي أن يزداد إيماني ويتعمق لأنني أعتبر وحدة القوى اليسارية والديمقراطية ضمانه أساسية لتحقيق البرنامج الوطني الفلسطيني ، برنامج العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة . إن أي تغيير نوعي في واقع الحركة الوطنية الفلسطينية ، وفي واقع منظمة التحرير ، مرهون بنمو وحدة القوى الديمقراطية وفعاليتها ضمن إطار الوحدة الوطنية الفلسطينية . وأعتقد أن تصاعد ونمو وزن القوى الديمقراطية في الأراضي المحتلة ودورها الرئيسي في الانتفاضة يقدم مثلاً حسياً على الدور الواجب الاضطلاع به من قبل هذه القوى .

لا شك أن زيادة مستوى التنسيق والتعاون بين القوى الديمقراطية ، رغم بعض الخلافات السياسية ، سيزيد من حجم دورها وفعاليتها وتأثيراتها الإيجابية على الساحة الفلسطينية ، سواء من حيث قدرتها على منع المزيد من الانحراف الذي قد تقدم عليه

بعض الأوساط القيادية النافذة في م.ت.ف ، أو من حيث قدرتها على الارتقاء بمستوى الوحدة الوطنية وما تعنيه من تعبئة وحشد وتوطيد للطاقات الفلسطينية .

لكن اسمح لي أن أقول : إنه رغم قناعتي العميقة بوحدة اليسار كضرورة موضوعية ، فإنني بصراحة أخشى أن تكون هذه المهمة قد باتت في الظروف السياسية الراهنة أكثر صعوبة ، على ضوء ما هومطروح سياسياً من أمور تتعلق بمؤتمر مدريد ومفاوضات واشنطن ، وما أثاره هذا الوضع السياسي من خلافات في الرؤية والمواقف بين القوى اليسارية . لكنني في كل الأحوال أعود للتأكيد ، بأن هذه المهمة رغم أي خلافات سياسية ، تبقى مهمة أساسية استراتيجية تتطلب بذل كل الجهود المخلصة ، لانجازها ، وأهم خطوة ملموسة لبلوغ هذا الهدف هي تكثيف الحوار بين القوى المعنية ، أي الحوار والحوار المتصل والديمقراطي والطويل النفس لتحقيق هذا الهدف .

■ **كنت قد دعوت في مؤتمر القوى الإسلامية والقومية ، الذي انعقد في عام ١٩٩١ في العاصمة السودانية ، إلى قيام حركة شعبية عربية ــ اسلامية ــ عالم ثالثية ، تتسع لكل الاتجاهات المعادية للامبريالية ، وأشرت إلى أن ترسخ ظاهرة التعاون والتنسيق والعمل المشترك بين التيارين القومي والديني سيكون عاملاً أساسياً في الرد على المخططات الامبريالية . وسؤالي : ما هو تصورك لأسس وشروط التعاون مع التيار الديني ــ الإسلامي ؟ وما هي آفاق التعاون القائم حالياً بين الجبهة الشعبية وحركة حماس ؟ وهل تعني دعوتك إلى قيام حركة شعبية ــ عربية ــ اسلامية عالم ثالثية ، تحولاً في موقفك من مسألة التضامن الأممي ؟ أو بمعنى آخر ، هل صرت تعطي مضامين جديدة لهذا التضامن في ظروف عالم اليوم ؟**

■ ■ في مواجهة حالة الانحطاط التي كانت تعيشها الأمة العربية أواخر الحكم العثماني ، ظهر تياران سياسيان فكريان : تيار يرى في أوروبا والمثل الأوروبي طريقاً للنهوض والتقدم ضمن شعارات ليبرالية وقومية ، وتيار آخر يرى في العودة إلى الأصول « الإسلامية »طريقاً لهذا النهوض ، على أساس أن الأمة العربية نهضت وتقدمت عندما تبنى العرب العقيدة الإسلامية . وظهر بعد ذلك ، على ضوء انتصار ثورة اكتوبر

الاشتراكية في روسيا ، تيار ثالث يرى في الاشتراكية والشيوعية طريقاً للنهوض والتحرر والتقدم . ولا شك أن العلاقات بين هذه التيارات الثلاثة كانت معقدة وشائكة ويغلب عليها طابع الصراع والتناقض في أغلب الأوقات . ولست الآن بصدد مناقشة وتحليل ما شهدته هذه العلاقات من صراعات أثرت بشكل كبير على قدرة الجماهير العربية على القيام بمهمات التحرر والتقدم والنهوض .

في ظل احتدام حرب الخليج لمست ظاهرة هامة تمثلت في التعاون الميداني الذي حصل بين التيار القومي والتيار الأصولي الديني في مواجهة الحرب الامبريالية على العراق ، والتي استهدفت الأمة العربية والسيطرة على منابع النفط . ظاهرة التعاون هذه التي برزت في حينه ، أوضحت حجم القوة التي يمكن أن تنشأ في حال استمرار وتعميق هذا التعاون . ولذلك عندما أطلقت الدعوة التي يشير إليها السؤال كنت استهدف اغتنام فرصة التعاون وتبيان أهمية توجيه كل الجهود والطاقات نحو التناقض الأساسي الذي تواجهه الجماهير العربية . وفي تقديري أن مثل هذا التعاون يجب المحافظة عليه وتعزيزه لمواجهة المخاطر الهائلة التي تستهدف المصالح الجذرية للأمة العربية .

وأعتقد أن علينا جميعاً كقوى يسارية وقومية واسلامية معادية للامبريالية أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي : ما هو الخطر المحدق ؟ ومن هو العدو الذي يقف ويحول دون تحقيق أهدافنا العادلة في التحرر والتقدم والعدالة والوحدة ؟ الجواب الواضح والبديهي هو الامبريالية والصهيونية واسرائيل ، وخاصة في هذه المرحلة التي نشهد فيها تراجعات وانهياراً في الوضع العربي عموماً . وإذا أردنا مواجهة فعالة لهذا الخطر ، فمن الطبيعي أن يوجد حد أدنى من التعاون والتنسيق والعمل الجبهوي إذا لزم الأمر بين عموم هذه القوى . وأعتقد أن أسس التعاون كبيرة وملموسة ، ولكنني أريد التأكيد على أساسين : الأول سياسي ، أي مواجهة الامبريالية ومشاريعها في المنطقة ، لأننا إذا اعتمدنا أساس التعاون العامل الايديولوجي ، فسنقول مسبقاً أن مثل هذا التعاون سيكون صعباً للغاية ، إن لم يكن مستحيلاً ، والأساس الثاني : « الديمقراطية » بمعنى

ضرورة إيمان كافة الأطراف بالديمقراطية وممارستها وقبول الاحتكام لإرادة الشعب ، واعتبار رأي الشعب هو المرجع والحكم . فمثلاً ،، أنا أوافق على قيادة « حماس » إذا كانت هذه هي إرادة الجماهير ، وإذا تجلت من خلال انتخابات حرة وديمقراطية ، شرط أن توافق حماس على المبدأ نفسه إذا كانت إرادة الجماهير لمصلحة الجبهة الشعبية أو حزب الشعب أو فتح .

وبالنسبة لآفاق التعاون مع حركة حماس ، فإنني أرى أن هناك أساساً وآفاقاً جيدة لهذا التعاون تستند إلى موقفنا المشترك من المشروع الأميركي المطروح لتصفية القضية الفلسطينية والذي يتخذ ، في اللحظة السياسية الراهنة ، شكل الحكم الذاتي الإداري وشكل الانتخابات التي تمهد لهذه الخطوة . كذلك فإن آفاق التعاون ومداه ومستواه ، سيتوقف على مدى اتفاقنا حول موضوع الحفاظ على م.ت.ف كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، فهذا الانجاز ملك للشعب الفلسطيني بأسره وليس لهذا التنظيم أو ذاك ، وبالتالي يجب المحافظة على هذا المكسب النضالي الكبير .

وبصدد الشق الأخير من السؤال ، حول رؤيتي للتضامن الأممي ، فإن موقفي من الدعوة لقيام حركة شعبية عربية ــ اسلامية ــ عالم ثالثية لا يعني تحولاً وتغيراً في فهمي للتضامن الأممي ، لأن هذا التضامن أساسه أن الامبريالية لا تهدد العرب والمسلمين ، فحسب ، بل هي عدو لكل البشرية التقدمية ، وبالتالي لا أرى تناقضاً بين الدعوة التي أشرت إليها وبين ضرورة تعزيز وتعميق التضامن الأممي بين كل الشعوب والقوى المناهضة للامبريالية .

انهيار النظام العربي

■ منذ خريف العام ١٩٨٩ ، بدأت تتحدث عن انهيار النظام الرسمي العربي ، ويبدو أن حرب الخليج ، وما أفرزته من نتائج ، قد زكت الاستخلاص الذي كنت قد توصلت إليه ، وسؤالي : هل تعتقد بأن هناك إمكانات واقعية لإقامة نظام عربي جديد ، وعلى أية أسس ، أم أن الوضع العربي سيسير في اتجاه المزيد من الانهيار والتفتت ؟

■ ■ واجبي أن أكون صريحاً في الإجابة عن هذا السؤال ، وواجبنا أن نكون صريحين مع جماهيرنا ، وأن لا نخدعها ونصور لها أن أهدافها العادلة ستتحقق بسرعة لأنها ستواجه الحقائق وتصاب بحالة من الإحباط واليأس إن لم نوضح لها المصاعب الهائلة والتعقيدات المحيطة بنضالها ، إن قراءتي للوضع السياسي العام العالمي والعربي ، وعلى ضوء تحكم أميركا وسيطرتها ، في اللحظة السياسية الراهنة وعلى ضوء عداء الامبريالية الشديد لطموحات وتطلعات الجماهير العربية بسبب تفكيرها في السيطرة الكاملة على بترول المنطقة ، فإن قيام نظام عربي جديد يحقق أهدافنا في التحرير والتقدم والوحدة ، أصبح مهمة صعبة وتحتاج إلى جهد طويل وطويل جداً . وبمزيد من الصراحة والوضوح ، فإنني بت أخشى أن نكون أمام مرحلة نواجه فيها المزيد من التفتت والانهيار ، وكلنا يعرف المخططات الموضوعة لتقسيم العراق ، والمخططات المرسومة للجزائر وليبيا والسودان ... الخ . إن الامبريالية لم تعد تريد وجوداً لأي نظام عربي ، حتى ولو كان هذا النظام تحت سيطرتها ، أي كما فعل تشرشل بعد الحرب العالمية الثانية عندما كانت بريطانيا تشجع قيام مؤسسة الجامعة العربية .

أما الآن ، فإن أميركا ،، حتى هذا الموضوع ، لم تعد تفكر به ، بل تعمل لقيام نظام شرق أوسطي يشمل اسرائيل وتركيا وربما دولاً أخرى ..

مع الأسف ، إن الواقع العربي الرسمي لم يعد يملك مقومات مواجهة المشاريع

والمخططـات الامبريالية القديمة ــ الجديدة . لكن هذا الواقع الذي يدعو لتشاؤم العقل ، يقابله في الجانب الآخر تفاؤل الإرادة ، على حد قول غرامشي . هذه الإرادة المستندة لقراءة علمية لحركة التاريخ ، والتي ترى أن مشاريع الامبريالية ليست قدراً لا يرد ، بل على العكس من ذلك ، فهذا الوضع لن يكون له حتماً صفة الاستمرار والثبات ، وستتمكن الشعوب من تحقيق أهدافها رغم كل العراقيل والمخططات . وعلى ضوء هذا التشخيص للواقع الراهن ، أرى بأن الجماهير باتت هي المعنية بخلق النظام العربي الجديد المتصادم مع ما يسمى بالنظام العالمي الجديد ، الذي يشكل استمراراً بصورة جديدة للمخططات والمشاريع الاستعمارية القديمة ، والتي وضعت في الأدراج سـابقاً على ضوء وجود نظام القطبين ، ووجود الاتحاد السوفياتي ، والتي يتم بعثها ، الآن ، من جديد على ضوء الظروف الدولية الراهنة ، فالنظام العربي الجديد المعبر عن مصالح الشعب ، لم تعد الأنظمة العربية الرسمية قادرة على اقامته ، حتى لو حاولت الأنظمة الأفضل العمل على ذلك ، لأن الشرخ والانهيار الذي أصاب الجسم العربي بات يتطلب اعادة بناء جذرية من الأساس . وبالتالي فإنني أرى أن هذا النظام العربي الجديد لن يقوم إلا على أساس حركة الجماهير وقواها الوطنية المعبرة عن مصالحها ، وهذا يبدأ ، حسب اعتقـادي ، من ضرورة توفر قناعة عميقة بأن أي بلد عربي في مواجهته لمشـاكله الاقتصادية والسياسية والاجتماعية يحتاج إلى بعده العربي ووحدته القومية .

المفاوضات

■ **من المعروف بأن التغيير الكبير الذي طرأ على موازين القوى في المنطقة والعالم فرض على قيادة م.ت.ف التعامل مع المبادرة الأميركية ومع عملية المفاوضات التي أطلقتها . وسؤالي : هل ترى بأن التعامل مع هذه المبادرة يعني بالضرورة التسليم**

بسقف محدد للحلول السياسية المطروحة علينا ؟ أو بمعنى أخر ، هل ترى بأن الانخراط في التفاوض حول مرحلة انتقالية ، على أساس الحكم الذاتي ، سيسد كل الآفاق أمام تحرير الأرض وانتزاع الاستقلال ، ذلك بغض النظر عن طبيعة الأسس والثوابت التي يتمسك بها المفاوض الفلسطيني ؟

■ ■ لا اتفق مع السـؤال ، بأنه كان مفروضـاً على قيادة م.ت.ف التعامل مع المبادرة الأميركية ومع عملية المفاوضات التي أطلقتها ، خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار الشروط المجحفة للغاية التي قبلت على أساسها قيادة المنظمة الدخول في هذه العملية ، وأعتقد أن من يقبـل بالشـروط الأميركيـة ــ الاسرائيليـة المجحفـة المتعلقة بشكل المفاوضـات ، سيقبل بالنتائج المجحفة المترتبة على هذه المفاوضـات ، آمل أن أكون مخطئاً في هذا الاستنتاج ، لكن الأمنيات شيء والوقائع على الأرض شيء آخر .

لا أستطيع أن أفهم على أي أساس يمكن القول إن قيادة م.ت.ف كانت مجبرة وفرض عليهـا التعـامل مع المبادرة الأميركية وفق الشروط الاسرائيلية المعروفة المتعلقة بالتمثيل وأساس المفاوضات واستبعاد الأمم المتحدة وأوروبا وقرارات الشرعية الدولية ... الخ . لقد كان أمام قيادة المنظمة فرصة وفرصة معقولة وممكنة لتجنب الوقوع في الفخ الأميركي .. أنا أعرف وأدرك تماماً المصاعب والتعقيدات الهائلة التي واجهت المنظمة بعد حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفياتي ، لكنني لا اتفق مع الرأي القائل بأنه لم يكن أمام قيادة المنظمة أي خيار سوى المرور في هذا الممر الإجباري المفروض عليها سياسياً . لقد كان بإمكان ، بل من واجب ، القيادة المعنية التشبث بالثوابت الوطنية المهيمن عليها في الساحة الفلسطينية .

ألم يكن من حقنـا وواجبنـا التشبث بقرارات الشـرعية الدولية التي تؤكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة ؟ ألم يكن من حقنا وواجبنا التشبث بقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بحق العودة ؟ ألم يكن من حقنا وواجبنا التشبث بالتمثيل الفلسطيني المستقل في المفاوضـات عبر م.ت.ف الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني باعتراف أكثر من مائة دولة في العالم ؟

إن أميركا دمرت بلداً عربياً عريقاً وأساسياً في المنطقة تحت شعارات الشرعية الدولية . وكان يجب أن نقول أن الشرعية الدولية لا تتجزأ وهي تتضمن قرارات واضحة لمصلحة شعبنا ، تعالوا نحتكم إليها إذا كنتم حقاً تريدون السلام العادل والشامل . اما أن نقبل بالشروط الأميركية ــ الاسرائيلية المجحفة والمتعارضة مع قرارات الشرعية الدولية ، فلا أرى أن هناك قوة في العالم تستطيع أن تفرض علينا ما يتعارض مع مصالحنا وثوابتنا الوطنية . وقد يقال لي ولكن العالم تغير وتستطيع أميركا أن تفرض عليكم ما يتعارض مع مصالحكم ، وجوابي إذا كانت أميركا تستطيع فلماذا يتم ذلك بموافقتنا التي تحرص عليها أمريكا أشد الحرص . أستطيع أن أفهم ،، قد يفرض علينا حل لا نريده ورغم معارضتنا له ، ولكنني لا أستطيع أن أفهم أن يفرض علينا شكل للمفاوضات ونتائج لحل يتعارض مع مصالحنا ويحصل على موافقتنا .

بطبيعة الحال لا أحد يستطيع القول إن حركة الشعب والتاريخ يمكن أن تتوقف عند هذا الحل أو ذاك وإلى الأبد ، ولكنني لا أنظر للموضوع من هذه الزاوية ، بل أنظر للموضوع من زاوية أن هناك مشروعاً محدداً للحل يقوم على اساس الحكم الذاتي الإداري ، ويتحدثون عن مرحلة انتقالية . ولكنني أسأل ما هو الثمن الذي سندفعه مقابل ذلك ؟ أليس هناك اعتراف بالتخلي عن ٨٠ ٪ من أراضي فلسطين ؟ أليس هناك تطبيع للعلاقات وتوقيع معاهدات واتفاقات واجراءات أمنية وضمانات دولية ستكبلنا لمراحل طويلة ؟ وماذا بشأن الفلسطينيين في الشتات ؟ وماذا بشأن حق العودة ؟؟ وكذلك أسأل كل المنغمسين بهذا الخط السياسي والمراهنين على هذا الخط ، إذا قبلنا بمشروع الحكم الذاتي الإداري فما هي الأسلحة التي سنستند إليها لمواصلة نضالنا في المرحلة اللاحقة ، لأنه من الواضح للجميع أن المرحلة الأولى تقفز عن موضوع الدولة والعودة وتقرير المصير والقدس وإزالة المستوطنات ، وكلنا يعرف أهمية موضوع القدس وما تعنيه بالنسبة للشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية ، هل سنراهن على الوعود الأميركية ؟ كلنا يتذكر الوعود الأميركية للسادات والوعود الأميركية بعد اندلاع الانتفاضة عندما قيل لنا اعترفوا فقط بقرار ٢٤٢ وسنعطيكم

الكثير ما هي اسلحتنا إذن بعد أن نقدم التنازلات الجوهرية ونوقع الاتفاقات . وما هو مصير الانتفاضة ؟ وما الذي يستطيع اقناعنا أنه سيتواصل المناخ والظروف التي توفر لها النمو والاستمرار في ظل الحديث الذي بدأ منذ الآن ، عن موضوع إنشاء جهاز للشرطة للحفاظ على الأمن والهدوء . وكذلك الحديث عن متطلبات الأمن الاسرائيلية ؟

على أية حال أنا لا اساوم على الثوابت الأساسية ، وأدين بشدة سياسة التنازلات السياسية المجانية مقابل وعود وكلام معسول لا تتوفر له أية ضمانات . وهنا أسمح لي أن استشهد بما قاله بعض أعضاء الوفد الفلسطيني المفاوض أثناء مناقشاتنا في تونس . حيث قالوا أن القائم هو الدائم ، أي أن اتفاق سيتم التوصل إليه من خلال الحكم الذاتي سيكون هو الاتفاق الدائم . قد يقال ، إن الحكم الذاتي الإداري سيولد ميكانيزم خاص لاحق لاستمرار النضال والدفع باتجاه الانسحاب الاسرائيلي واقامة الدولة ، ولكن ماذا بشأن العدو الذي يريد أخذ كل الضمانات ويدقق في كل كلمة للحيلولة دون ذلك ؟ صحيح أن كفاح الشعب الفلسطيني سيستمر ، ولكن واجب القيادات أن تسهل الطريق أمام الشعب لا أن تكبل حركته بقيود والتزامات قد تعيق نضاله ، والمسألة هنا ليست مسألة نوايا طيبة ورغبات وأماني ، بل مسألة وقائع والتزامات واضحة ومحددة سيتم التوقيع عليها في حال التوصل إلى أي ترتيبات ومعاهدات تتعلق بالسلام الموهوم والمخادع الذي تصنعه الولايات المتحدة الأميركية واسرائيل .

ثم هناك سؤال لا بد من الإجابة الواضحة عنه ، ما هو برنامج م.ت.ف وما هي منظمة التحرير أساساً ؟ هل المنظمة هي هذا القائد أو ذاك ، هذا التنظيم أو ذاك ، أم هي البرنامج والأسس والثوابت التي تقوم عليها ، والتي يناضل الشعب الفلسطيني ويلتف حول المنظمة على أساسها ؟ أليست المنظمة هي البرنامج الوطني الذي يقوم على أساس حق العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة ؟

عندما يتحول هذا البرنامج إلى برنامج آخر مختلف تماماً ، ويصبح برنامج الحكم الذاتي ، إلى أي درجة يمكن القول عندها أن المنظمة ما زالت قائمة وأنها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ؟

عندما يشعر اللاجئون الفلسطينيون في لبنان وسوريا والاردن ومصر والمهاجر بعد كل هذه التضحيات والشهداء ، أن المنظمة قبلت بحكم ذاتي + مرحلة انتقالية لا نملك فيها الأسلحة التي تمكننا من تحقيق هدف الدولة والعودة وتقرير المصير وعروبة القدس ، هل ستبقى هذه الجماهير ملتفة حول منظمة التحرير ؟ وهل ستبقى منظمة تحرير أساساً إذا تم التخلي عن برنامجها الوطني ؟

لهذه الأسباب ، فإن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ترفض رفضاً قاطعاً مشروع الحكم الذاتي الإداري ، وتدعو الجميع للتمعن والتدقيق والتحلي بأعلى درجات المسؤولية لمواجهة هذا المشروع وإحباطه .

وحدة الصف الوطني

■ في دورة المجلس الوطني الأخيرة طرحت شعار : وحدة حتى النصر ، ما هي في تقديرك ، مستلزمات صيانة وحدة الصف الوطني في إطار م.ت.ف في ظل التباينات السياسية القائمة بين فصائلها حول الموقف من المبادرة الأميركية ومن عملية التفاوض ؟

■ ■ يجب أن أكون صريحاً وواضحاً في الإجابة عن هذا السؤال ، لأن المرحلة التي نمر بها لا تحتمل المجاملات والمواربات .

إن الحفاظ على وحدة منظمة التحرير الفلسطينية يتم عبر طريق واحد ، وهو التمسك والالتزام ببرنامج الاجماع الوطني ، برنامج العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس . وبدون ذلك لا يمكن أن نكون أمام وحدة

وطنية فلسطينية حقيقية فالوحدة الوطنية لا يمكن أن تقوم على أساس برنامج الحكم الذاتي ، ولا يمكن أن تستمر على اساس ضرب ونسف البرنامج الذي اتفقت الناس على أساسه .

إن من يحرص على الوحدة الوطنية فطريقه الوحيد التمسك بالبرنامج الوطني ، وبدون ذلك فإنه يهدد الوحدة . وقد يقال من البعض ، أننا نعمل على أساس البرنامج الوطني ولم نتخل عنه ، وإن عملية المفاوضات التي نقوم بها تقوم على أساس تطبيق هذا البرنامج على مراحل ، وفي النهاية سنصل إلى أهدافنا ، وجوابي عن هذا ، أن اجتهادات بهذا الحجم ، وبهذه الخطورة ، تتطلب العودة إلى الشعب الذي يملك وحده حق تفسير قرارات المجلس الوطني . إذن فليتم استفتاء لكل الجماهير الفلسطينية في الداخل والخارج لمعرفة رأيها بالحكم الذاتي والسقف السياسي المطروح لحل القضية الفلسطينية . أنا أعتقد أن الشعب الفلسطيني في مختلف أماكن تواجده يدرك مصلحته جيداً ولا يقبل بما هو أقل من برنامج الإجماع الوطني ، فلنحتكم إلى الشعب إذن قبل الإقدام على حلول وخطوات سياسية كبيرة تتعلق بمصير مجموع شعبنا في داخل الوطن المحتل وفي المهاجر والشتات .

لقد قلت ، وطرحت شعار وحدة وحدة حتى النصر ، وليس وحدة وحدة حتى الحكم الذاتي ، طرحت هذا الشعار في المجلس الوطني الفلسطيني ، عندما هبت جماهيرنا في انتفاضتها الباسلة ، ولكن من كان يخطر بباله أن تعالج بعض الأوساط القيادية النافذة في المنظمة موضوع الانتفاضة بالشكل الذي عالجته ، أي انتهاج خط سياسي يريد الاستثمار المتسرع لهذه الانتفاضة ، وتقدم على تقديم التنازلات السياسية المجانية المتتالية ، والتي في حال استمرارها تهدد مسيرة الانتفاضة ، وشعارها الرئيس الذي رفعته ، شعار الحرية والاستقلال .

طبعاً يجب أن أشير إلى أننا في الجبهة الشعبية يبقى لدينا أمل في الحفاظ على الوحدة الوطنية ومراجعة كل هذه المسيرة ، وإذا لم نتمكن من ذلك فيجب أن نعمل للحفاظ على الوحدة الميدانية لاستمرار الانتفاضة وعدم تعريض وحدتها للخطر .

استمرار الانتفاضة وتصعيدها

■ حتى الآن ، هناك اجماع بين فصائل م.ت.ف وكل القوى الوطنية على أهمية استمرار الانتفاضة وتصعيدها . ما هي ، في تقديرك الشروط التي ينبغي توافرها لتحقيق ذلك ، وكيف يمكن معالجة الظواهر السلبية التي استفحلت في إطار الانتفاضة ، وبخاصة ظاهرة الاحتراب الفئوي وتراجع الطابع الجماهيري والديمقراطي للانتفاضة ؟

■ ■ في مقدمة الإجراءات المطلوب توفرها لاستمرار الانتفاضة وتصعيدها ومعالجة الظواهر السلبية التي استفحلت في إطارها ، يأتي موضوع ترتيب البيت الفلسطيني الداخلي الذي يعاني من تصدعات حادة وكبيرة ، فصيانة البناء الداخلي وترسيخ أعمدته على أسس صلبة يشكل الشرط الأساسي لحماية الانتفاضة واستمرارها وتصاعدها . وترتيب البيت الفلسطيني ، يعني التئام وتآلف القوى الوطنية الفلسطينية ضمن إطار م.ت.ف حيث يوجد هنا ثغرة كبيرة ، كنا قد أشرنا لها كجبهة شعبية في المجالس الوطنية الفلسطينية ، وأقصد هنا الفصائل الموجودة الآن خارج إطار المنظمة والتي كانت أعضاء في منظمة التحرير وكذلك حركة « حماس » كقوة جديدة وترتيب البيت الداخلي ، لا يمكن أن يتم إلا على أساس ديمقراطي . بمعنى تشكيل هيئات م.ت.ف على أساس التمثيل الديمقراطي النسبي . وبعد ذلك الإصلاح الديمقراطي الذي يؤدي إلى التخلص من التفرد والفئوية والتقيد بقرارات القواسم المشتركة .

وفي كل الأحوال ، فإنني أرى أن استمرار الانتفاضة وحمايتها وتصعيدها يتطلب توفر العوامل الأساسية التالية :

١ ـ الالتزام بالبرنامج السياسي ، المتفق عليه وطنياً ، برنامج العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس .

٢ ـ جماعية القيادة وعدم التفرد بالقرار وعدم احتكار تفسير قرارات المجلس الوطني الفلسطيني .

٣ ـ توجيه الإمكانيات والطاقات المادية التي تمتلكها م.ت.ف باتجاه الأراضي المحتلة لدعم الانتفاضة ، وتوزيعها بشكل عادل وسليم بما يخدم مصالح الناس وصمودهم .

٤ ـ عدم اقتصار الفعل والحركة على الجانب السياسي والديبلوماسي والإعلامي رغم أهميته ، بل كذلك توجيه الطاقات باتجاه تفعيل الجانب الكفاحي على كافة الأصعدة والمستويات .

٥ ـ محاربة ظاهرة الاحتراب الفئوي والعنف بين القوى الوطنية والاحتكام للأساليب الديمقراطية في معالجة كافة المشكلات .

■ هل ترى أن هناك فرصة لانكفاء المشروع الصهيوني ، بعد التغييرات التي شهدها العالم وانتهاء الحرب الباردة ؟ وهل تعتقد بأن الانتخابات الاسرائيلية الأخيرة ، بإظهارها وجود رغبة واضحة في التغيير لدى الناخب الاسرائيلي ، قد تفتح آفاق تعزيز مواقع التيار الواقعي داخل اسرائيل ، الذي تحدثت أنت نفسك عنه في أكثر من مناسبة ، والذي لا يرى حلاً للصراع خارج إطار التفاوض مع المنظمة والتسليم بقيادة دولة فلسطينية ؟ وكيف يمكن لنا الإسهام ، كوطنيين فلسطينيين ، في توفير الشروط التي تسمح بتحول هذا التيار إلى تيار غالب في المجتمع الاسرائيلي ؟

■ ■ لقد مضى على إقامة اسرائيل أكثر من أربعة عقود ، تمكنت خلالها الصهيونية من تحقيق جملة من الأهداف الاستراتيجية أهمها :

١ ـ قيام اسرائيل على مساحة ٨٠٪ من أراضي فلسطين كنتيجة لحرب عام ١٩٤٨ وكافة ملابساتها .

٢ ـ توسيع حدود هذه الدولة واحتلال كامل الأرض الفلسطينية وضم أجزاء عربية أخرى كنتيجة لحرب عام ١٩٦٧ وحرب عام ١٩٨٢ في لبنان .

٣ ــ ترسيخ البنينة الداخلية لدولة اسرائيل على المستويات الاقتصادية ــ الاجتماعية وعلى المستوى العسكري في إطار خطة استراتيجية شاملة .

٤ ــ تزايد القبول باسرائيل عبر التقاء المصالح أو بفعل الأمر الواقع ، خصوصاً في السنوات التي أعقبت التوقيع على اتفاقات كامب ديفيد .

٥ ــ امتلاك اسرائيل لزمام المبادرة من خلال ميزان قوى مختل بشكل واضح لصالحها وخاصة بعد حرب الخليج .

وهذه الأهداف الاستراتيجية كان من المستحيل تحقيقها لولا الترابط العضوي بين الامبريالية والصهيونية . هذا الترابط القائم على أسس ومصالح طبقية مادية ، فكل مواطن في اسرائيل يحصل اليوم سنوياً على ألف دولار من الولايات المتحدة الأميركية مقابل الخدمات التي تؤديها اسرائيل لمصلحة الإدارة الأميركية . وبعد انهيار الاتحاد السوفياتي وبلدان المنظومة الاشتراكية وبعد حرب الخليج ، بدأنا نسمع ونقرأ تحليلات ترى أن أهمية الحركة الصهيونية واسرائيل باتت أقل أهمية من الناحية الاستراتيجية بالنسبة لأميركا والمعسكر الامبريالي على أساس زوال الخطر الشيوعي وانتهاء الحرب الباردة من جهة ، وعلى أساس أن العديد من الأنظمة العربية قد برهنت عن ولائها المطلق لأميركا من جهة أخرى . ومن جهتي لا أوافق على مثل هذه التحليلات . فزوال الخطر الشيوعي استبدلته أميركا على صعيد منطقتنا بخطر التيارات الأصولية الدينية ، وولاء العديد من الأنظمة العربية الرجعية لأميركا بشكل كامل لا يشكل ضمانة كالضمانة التي تشكلها اسرائيل على أساس عدم ثقة الولايات المتحدة باستقرار الأوضاع لدى هذه الأنظمة . إذن نستطيع الاستنتاج أن نظرة أميركا الاستراتيجية لاسرائيل لم تتغير . صحيح ، لا يمكن نكران التغيرات الدولية الهائلة ، لكن لا زالت اسرائيل حسب اعتقادي تشكل الحليف الأول والثابت للولايات المتحدة . وبالتالي فإن وجهات النظر التي تقول ، لماذا لا نتحالف نحن كعرب مع أميركا على حساب علاقة اسرائيل معها ، وجهات نظر خاطئة يجب دحضها بقوة لأنها لا تستند لأساس علمي يدرك حجم المصالح والترابط العضوي بين الصهيونية واسرائيل من جهة

والامبريالية من جهة أخرى .

وعلى صعيد الانتخابات الاسرائيلة ونجاح حزب العمل والمتغيرات لدى الناخب الاسرائيلي ، فإنني أعتقد أنه يجب مراقبة ورصد مثل هذه المتغيرات ، والعمل على الاستفادة القصوى من التناقضات ضمن صفوف الخصم ، لكن دون أوهام ومبالغات . وأنا لا أقول أن حزب العمل والليكود نسخة كربونية عن بعضهما ، بل يوجد تناقضات وتصورات مختلفة ، لكن فيما يتعلق بالقضايا الجوهرية والاستراتيجية فكلاهما يعمل لصالح المشروع الصهيوني ، الذي يستهدف السيطرة على المنطقة العربية من منطلقات مختلفة ، فالليكود يعمل على تجسيد المشروع الصهيوني التوراتي ، أي الاستيلاء على الأرض والاحتلال والتوسع واقامة اسرائيل الكبرى الجغرافية ، أما العمل فيعمل على تجسيد المشروع الصهيوني البراغماتي الأكثر واقعية والأقل كلفة والأكثر انسجاماً مع المتغيرات الدولية وإقامة اسرائيل الكبرى الاقتصادية ، وهو المشروع الذي حظي بدعم الولايات المتحدة الأميركية على حساب المشروع الأول . إن انكفاء المشروع الصهيوني لا يمكن أن يتم إلا على أساس استراتيجية مجابهة شاملة فلسطينية ــ عربية ، ونقطة العد العكسي في مسيرة هذا المشروع تبدأ حين تجد الصهيونية واسرائيل نفسها في شروط وظروف غير ملائمة لمواصلة سيرها على طريق استمرار تجسيد هذا المشروع . ■■

شعبنا الفلسطيني صاحب أطول انتفاضة في التاريخ ويستمر في حمل الراية حتى تحرير ترابه الوطني

☆ خطاب د. جورج حبش في المهرجان الجماهيري بمخيم اليرموك بمناسبة الذكرى ٢٥ لانطلاقة الجبهة الشعبية والذكرى الخامسة لاندلاع الانتفاضة

أيتها الأخوات ، أيها الأخوة

أيتها الرفيقات ، أيها الرفاق

اسمحوا لي في البداية أن أرحب باسم اللجنة المركزية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بالأخوة والرفاق الضيوف ، الذين يشاركوننا اليوم احتفالنا بمناسبة الذكرى (اليوبيلية) الخامسة والعشرين لانطلاقة جبهتنا المكافحة ، والذكرى الخامسة لاندلاع انتفاضة شعبنا الباسلة .

أرحب برفاقي واخوتي في فصائل الثورة الفلسطينية . ورفاقي واخوتي ممثلي جبهة المقاومة الوطنية والاسلامية اللبنانية ، أرحب بالأخوة والرفاق ممثلي فصائل حركة التحرر الوطني العربية وممثلي البلدان العربية الوطنية الشقيقة .

أرحب بالأخوة والرفاق ممثلي البلدان الصديقة ، وممثلي فصائل حركات التحرر العالمية .

أرحب بكم جميعاً ، وأشكر حضوركم ومشاركتكم احتفالات شعبنا بهاتين المناسبتين العزيزتين على قلوبنا جميعاً . مناسبتان تاريخيتان غاليتان ، نحتفل بهما هذا العام ، وتحتفل معنا كل جماهير شعبنا ، مؤكدين العزم والاصرار على مواصلة الكفاح ـــ رغم المصاعب الهائلة ـــ يوماً بعد يوم ، وشهراً بعد شهر ، وعاماً بعد عام ، وعقداً بعد عقد . إلى أن تتحقق كامل الأهداف والآمال والأماني التي سالت من أجلها شلالات الدماء وقضت في سبيلها قوافل الشهداء .

في هذه المناسبة العزيزة ، أوجه التحية العميقة لأرواح الشهداء الأبرار الذين ضحوا بأغلى ما يملك الانسان من أجل كرامة شعبهم وتحرير وطنهم .

أوجه التحية لذويهم وعائلاتهم ، أمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم ، معبراً باسمكم جميعاً عن أعمق آيات الاحترام والوفاء والاجلال أمام عظمة هؤلاء الشهداء الذين صنعوا بدمائهم الغالية ملحمة كفاح سيسجلها التاريخ ، ويعتز بها الشعب على مر السنين .

أوجه التحية لشهدائنا الخالدين ، عز الدين القسام ، وعبدالقادر الحسيني وجمال عبد الناصر وعطا الزير وفؤاد حجازي ومحمد جمجوم . أوجه التحية لشهدائنا الأبرار خالد أبو عيشة وغيفارا غزة وغسان كنفاني ووديع حداد وأبو منصور وأبو أمل ومحمد الخواجا وأبو جمال ومصطفى العكاوي وشادية أبو غزالة وتغريد البطمة .

أوجه التحية لشهدائنا الأبطال خليل الوزير وأبو اياد وأبو الهول وسعد صايل وماجد أبو شرار وطلعت يعقوب وناجي العلي وخالد نزال وعمر القاسم وخالد الأكر .

أوجه التحية للشهداء كمال جنبلاط ومعروف سعد وعباس موسوي وسليمان خاطر وسناء محيدلي وبلال فحص .

أوجه التحية لكل الشهداء في الساحة الفلسطينية والعربية والعالمية ..

أيتها الأخوات ، أيها الأخوة

أيتها الرفيقات ، أيها الرفاق

خمسة وعشرون عاماً مضت على انطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وخمسة أعوام مضت على اندلاع انتفاضة شعبنا البطلة ، كانت بلا شك مساحة من الزمن ، مساحة من الدم والدموع والآلام ، خمسة وعشرون عاماً حافلة بالمعارك والحروب ، بالانجازات والاخفاقات ، بالنجاح والفشل ، حافلة بالدروس والاستخلاصات والعبر .

ففي هذه اللحظات ، وعندما أقف لاستعراض وتقييم مسيرتنا الماضية ، يمر في ذهني شريط من الأحداث ، شريط من التاريخ والمخططات التي تعرضنا لها في الأردن ، والصراع الذي عشناه على الساحة اللبنانية ، والحرب الخامسة التي خضناها اثر اجتياح لبنان وملحمة الصمود في بيروت عام ١٩٨٢ ، يمر في ذهني زيارة الخائن السادات للقدس واتفاقيات كامب ديفيد ، يمر في ذهني اندلاع الانتفاضة المجيدة .

لذلك وعندما نتذكر كل هذا التاريخ ، لا بد وأن ندرك حجم التحديات والتضحيات التي مر بها شعبنا الفلسطيني وأمتنا العربية

لهذا وبالرغم من كل التراجعات والأخطاء التي رافقت مسيرتنا النضالية ، لا بد

وأن نشعر بالفخر والاعتزاز لقدرة شعبنا وأمتنا وقواهما الوطنية المكافحة على الصمود والاستمرار .

إن ما تعرضنا له على مدار ربع القرن الماضي كبير وخطير ، ولهذا فإن الصمود ومجرد الصمود والاستمرار هو بحد ذاته انجاز كبير لا يجوز الاستهانة أو الاستخفاف به .

إن الثورة الفلسطينية المعاصرة ، وضمنها الجبهة الشعبية كفصيل أساسي لم تستطع تحرير أي جزء من التراب الوطني ، لكنها حققت انجازات كبرى ، لا يجوز أن تغيب عن البال لحظة واحدة ، على الرغم من اللحظة السياسية المظلمة والحرجة التي نمر بها الآن .

إن الكفاح المسلح والنضال البطولي الذي خاضته جماهير شعبنا على امتداد الأعوام الطويلة الماضية ، استطاع تحقيق وبلورة انجازات عديدة وكبيرة أهمها يتمثل في انجازين رئيسيين .

الأول تبلور وتجسيد دور ومكانة م .ت .ف كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، يحظى باعتراف الغالبية الساحقة لشعوب وحكومات العالم ، التي أصبحت وعلى ضوء تضحيات شعبنا تعترف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

الثاني الانتفاضة الفلسطينية البطلة ، التي اندلعت منذ خمس سنوات كامتداد وتواصل لكفاح شعبنا وتضحياته عبر المعارك الكبرى التي خاضها منذ هزيمة حزيران ١٩٦٧ وحتى اليوم .

إن هذه الانجازات باتت مهددة بالضياع والتبديد على يد القيادة المتنفذة في م. ت. ف . التي تعاطت مع المتغيرات الدولية والعربية بنوع من اليأس والتراجع والاستسلام المذل الذي يتناقض مع مصالح شعبنا الأساسية .

إن المتغيرات الكبرى التي عصفت بالعالم ، تضعنا وتضع جماهير شعبنا وأمتنا العربية أمام واقع خطير ، وأمام مسؤوليات ومهام جسام ، لأننا أصبحنا نواجه واقع

دولياً جديداً بعد انهيار نظام القطبين والانتقال الى النظام المتعدد الأقطاب الذي باتت فيه الولايات المتحدة الأمريكية الاستعمارية سيدة العالم بعد أن كرست انتصارها في الحرب الباردة على ضوء انهيار وزوال الاتحاد السوفياتي السابق وغالبية بلدان المعسكر الاشتراكي وترافق مع ذلك انهيار النظام العربي الرسمي واستسلامه شبه الكامل للغزوة الصهيونية ، خاصة بعد حرب الخليج الثانية وما ولدته من واقع عربي جديد كان من أخطر نتائجه على الصعيد الفلسطيني انحراف القيادة المتنفذة لـ م. ت. ف ، وقفزها عن البرنامج الوطني وتعاطيها مع المشروع الأميركي المعروف بنتائجه واستهدافاته مما يمهد لتصفية كاملة للقضية الفلسطينية والتضحية بدماء الشهداء الفلسطينيين والعرب الذين ضحوا وناضلوا في سبيل الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني والأمة العربية.

هل ناضل شعبنا على امتداد نصف القرن الماضي من أجل حكم اداري ذاتي هزيل ومذل يجهض الانتفاضة ويهدد مجمل المكتسبات التي حققتها م. ت. ف بالدماء والتضحيات؟؟

هل ناضل شعبنا من أجل أن يأتي هذا القائد أو ذاك ليضرب عرض الحائط بقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية وبرنامج الإجماع الوطني ؟

هل ناضل شعبنا وقدم كل هذه التضحيات من أجل التخلي عن قضية التمثيل الفلسطيني والموافقة على كافة الاشتراطات الأميركية والصهيونية لمفاوضات السلام المزعوم؟

لقد أعلنت الجبهة الشعبية بكل وضوح ، وتعلن مجدداً أمامكم اليوم رفضها الكامل والجذري لهذا المشروع التصفوي وتدعو الطرف الفلسطيني الغارق في مستنقع الاستسلام إلى الانسحاب الفوري من هذه المفاوضات المخزية .

لأننا ندرك تمام الادراك ، بأن ما هو مطروح علينا يتناقض جذرياً مع مصالح وحقوق شعبنا الثابتة استراتيجياً ومرحلياً . فهو من جهة لا يستجيب للحد الأدنى من حقوقنا الوطنية كما أقرتها مؤسساتنا الوطنية ، وكما أقرتها الشرعية الدولية متمثلة بحق العودة وتقرير المصير والدولة ، ومن جهة أخرى فإنه يمثل استجابة شبه كاملة للرؤية

الاسرائيلية ومصالح الكيان الصهيوني الأمر الذي يعني في الواقع تكريس الاحتلال بصورة نهائية وباعتراف فلسطيني وعربي رسميين .

قد يقول البعض ، بأنه كان مفروضاً على قيادة م. ت. ف التعامل مع المبادرة الأمريكية ومع عملية المفاوضات التي أطلقتها ، لكنني اقول إن هذا نوع من التضليل ، لقد كان أمام قيادة المنظمة فرصة ، وفرصة معقولة وممكنة لتجنب الوقوع في الفخ الأمريكي . أنا أعرف وأدرك تماماً المصاعب والتعقيدات الهائلة التي واجهت المنظمة بعد حرب الخليج وانهيار الاتحاد السوفييتي ، لكنني أخطىء الرأي القائل بأنه لم يكن أمام المنظمة أي خيار سوى المرور في هذا الممر الاجباري المفروض عليها سياسياً . لقد كان بالامكان ، بل من واجب القيادة المتنفذة التشبث بالثوابت الوطنية المتفق عليها في الساحة الفلسطينية .

إن أميركا دمرت بلداً عربياً عريقاً وأساسياً في المنطقة تحت يافطة الشرعية الدولية . وكان يجب أن نقول إن الشرعية الدولية لا تتجزأ وهي تتضمن قرارات واضحة لمصلحة شعبنا تعالوا نحتكم إليها إذا كنتم تريدون حقاً السلام العادل والشامل . أما أن نقبل بالشروط الأمريكية الاسرائيلية المجحفة والمذلة ، فلا أرى أن هناك قوة في العالم تستطيع أن تفرض علينا ما يتعارض مع مصالحنا وثوابتنا الوطنية .

وقد يقال لي ، ولكن العالم تغير وتستطيع أمريكا أن تفرض عليكم ما يتعارض مع مصالحكم ، وجوابي إذا كانت أميركا تستطيع فلماذا يتم ذلك بموافقتنا التي تحرص عليها أميركا أشد الحرص .

استطيع أن افهم أنه قد يفرض علينا حل لا نريده ورغم معارضتنا له . ولكنني لا أستطيع أن أفهم أن يفرض علينا شكل للمفاوضات ونتائج الحل يتعارض مع مصالحنا ونحصل على موافقتنا .. هذا استسلام وانحراف يجب مواجهته والتصدي له .

لقد اضطر رئيس اللجنة التنفيذية السيد ياسر عرفات للاعتراف ، بأن نتائج المفاوضات خلال العام الماضي كانت نتيجتها صفراً ، وأنا أقول جيد مش هذا الاعتراف وآمل أن يستخلص أصحابه بعض الدروس .

لكنني أضيف على هذا الكلام إن اي مدقق في سير المفاوضات ونتائجها بعد عام على بدئها سيجد نفسه أمام ربح صاف لمعسكر الأعداء ، وهذا معناه خسائر مباشرة على صعيد حقوقنا الوطنية .

وبالتالي فالمحصلة ليست صفراً كما يبدو للوهلة الأولى ، بل أسوأ من ذلك .

إنَّ الجبهة الشعبية كانت تدرك بوضوح المآل الذي ستسير إليه الأمور في حال الانخراط والتجاوب مع الاملاءات الأميركية ، فقد تلمست جماهيرنا في كل مكان حالة الانحدار التي وصلت إليها الأمور ، وحالة الاذلال التي مورست ضد الوفد الفلسطيني المفاوض .

وإذا ما قمنا باجراء جردة اجمالية لحصيلة هذه المفاوضات نسجل التالي :

ـــ ضرب وحدانية التمثيل الفلسطيني من خلال فرض الوفد المشترك الفلسطيني الأردني . وها قد توصل الأردن إلى اتفاق مع اسرائيل على جدول أعمال مباحثاتهم الثنائية .

ـــ استبعاد م. ت. ف من المفاوضات رسمياً .

ـــ ضرب مبدأ الشرعية الدولية وقراراتها كأساس للحل والاستعاضة عنها بالرؤية الأمريكية المنسجمة إلى أبعد الحدود مع الرؤية الاسرائيلية .

ـــ استبعاد موضوع القدس كقضية وتمثيل .

ـــ اسقاط جميع عناصر الحقوق الوطنية الفلسطينية وتمحور المحادثات ضمن السقف الذي حددته اسرائيل وأميركا ، أي الحكم الاداري الذاتي .

ـــ عدم التأكيد على مبدأ الانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة انسجاماً مع المبدأ الذي أعلنته الادارة الامريكية « الأرض مقابل السلام » .

ـــ نجاح اسرائيلي واضح على صعيد السير في تطبيع العلاقات مع المحيط العربي دون أن يكون ذلك مرهوناً بتحقيق خطوات جدية على صعيد المفاوضات السياسية ، وفي هذا السياق ، فإنني أثمن ايجاباً الموقف السوري واللبناني الذي يقاطع المفاوضات المتعددة الأطراف والهادفة إلى تطبيع العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية مع العالم

العربي بكل ما يحمله ذلك من مخاطر على القضية الفلسطينية وقضايانا القومية .

هذه هي حصيلة عام كامل من المفاوضات ، فهل بقي لدى أصحاب هذا الخط السياسي المتهافت أية مراهنات على الاستمرار بالمفاوضات وتقديم المزيد من التنازلات .

إنني أعلن من هذا المكان وبشعور عميق بالمسؤولية ازاء ما تتعرض له قضيتنا الوطنية من مخاطر لم نشهد مثيلها في أي مرحلة سبقت .

إن الاستمرار في السير على هذا الطريق ، طريق التصفية والرضوخ للاشتراطات الأميركية الصهيونية ، يشكل طعنة في الصميم لكل نضالات شعبنا ، تهدد بالضياع والتبديد كل المكتسبات والانجازات التي حققناها خلال الـ ٢٧ عاماً الماضية ، لأن المخطط والمشروع التصفوي المطروح يؤدي في حال نجاحه إلى تصفية القضية الوطنية ، فهو يعني عملياً تمزيق وحدة الشعب الفلسطيني وفرض مخطط التوطين والحكم على شعبنا بالشتات مما يهدده بفقدان هويته وما راكمه من انجازات على مدار أعوام نضاله الطويل . ومن هنا فإنني أدعو ياسر عرفات وكل المنخرطين بهذا المجرى إلى مراجعة حساباتهم ، والعودة إلى طريق الصواب عبر التمسك بالبرنامج الوطني الفلسطيني والاقلاع عن سياسة التهافت والاستسلام .

أيها الأخوات ، أيها الأخوة

أيها الرفيقات ، أيها الرفاق

ما هو مخططنا لمواجهة هذه المرحلة الصعبة ، وما هو بديلنا لمواجهة سياسة الاستسلام والتفريط ، وما هي المرتكزات الاستراتيجية والراهنة لمواجهة المرحلة المقبلة؟ ... هي مقومات البديل النضالي الذي سنعتمد عليه؟؟

إنَّ البعض يريد تبرير سياسة الاستسلام بطرح سؤال ، وما هو البديل المتاح أمامنا في ظل هذا الواقع الدولي والعربي الجديد والمظلم والذي يطوقنا من كل جانب؟

جوابي : لا بديل أمامنا ولا خيار أمامنا وأمام شعبنا إلا المواجهة واستمرار الكفاح ، وعندما نكون أمام معادلة الاستسلام المذل أو استمرار النضال ، فإن خيارنا واضح ، وخيار شعبنا الذي قال لا لمؤامرة الحكم الاداري الذاتي واضح وأكيد .

إننا في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين كنا ولا زلنا نتقدم بمشروع كفاحي بديل لافشال مخطط التصفية ، وهذا البديل يرتكز في اللحظة السياسية الراهنة على الأسس التالية :

أولاً :

الامساك بحلقة الانتفاضة الشعبية المجيدة في الوطن المحتل ، وحمايتها سياسياً ، والعمل للنهوض بها وتطويرها واسنادها كفاحياً ومادياً باعتبارها السلاح الرئيسي والأساسي في المواجهة ، ولكونها تمثل الخيار الجماهيري النضالي المتميز في هذه المرحلة .

إن حماية الانتفاضة سياسياً ، والدفع باتجاه النهوض بها وتوفير مقومات استمرارها هو الشرط الرئيسي في برنامج التصدي للتسوية التصفوية ، وهي بهذا المعنى مهمتنا المركزية على الصعيد الوطني .

إن قدرتنا ونجاحنا على هذا الصعيد مرهون بقدرتنا على رؤية واقع الانتفاضة وتقييمها بعلمية ورؤية ما طرأ عليها من تطورات ، والامساك بما لحق بها من ثغرات ومظاهر سلبية بهدف التصدي لها ، وتلمس ممكنات وعناصر تطورها وتعزيز جوانب قوتها ، وابداع أنماط كفاحية جديدة ، وبنى تنظيمية تستجيب للواقع المتغير وتعميق الوحدة بين القوى الوطنية والاسلامية والتشديد على أهمية الوحدة الميدانية بين مختلف فصائل المقاومة والعمل الجدي لتحقيق الديمقراطية ومعالجة المشكلات بعيداً عن الاحتراب الداخلي ، وبذل الجهود لاستعادة الطابع الجماهيري الحاشد للانتفاضة .
كل ذلك من على قاعدة الدفع لتسعير حالة الاشتباك والتصادم مع الاحتلال وتطوير النشاطات العنفية الشعبية والعسكرية ضد جنوده ومستوطنيه .

إن الامساك بحلقة الانتفاضة الآن هو المفتاح وكلمة الفصل في مجابهة المشروع الاميركي الصهيوني ، حيث تتلاحم المهمتان المركزيتان في وحدة واحدة :

(١) حماية الانتفاضة واسنادها وتطويرها .

(٢) التصدي لمشروع الحكم الاداري الذاتي بهدف اسقاطه واحباطه .

ثانياً : ترتيب البيت الفلسطيني : إن ما تتعرض له القضية الوطنية من مخاطر داهمة لا يمكن مجابهتها بدون تحشيد وطني شامل يضم مختلف قوى وقطاعات وطبقات وشخصيات الشعب الفلسطيني في كل مكان ، وهذا من الصعب تحقيقه ما لم تكن أطر ومؤسسات الشعب الفلسطيني في وضع يتيح لها تحشيد وجذب الجماهير الفلسطينية نحو الفعل والنشاط الكفاحي .

وعليه فإن مهمة ترتيب أوضاع البيت الفلسطيني هي مهمة راهنة ، وهي المدخل المناسب لبداية تحشيد وتفعيل جديين ، وحتى يتحقق هذا الهدف فإنه مشروط بمسألتين :

(١) التمسك بالثوابت الوطنية ، أي برنامج الاجماع الوطني ، برنامج م . ت. ف وعودة القوى التي خرقت هذا البرنامج إلى طريق الالتزام والتمسك به والتخلي عن خيارها السياسي المدمر للحقوق والانجازات الوطنية .

(٢) اجراء اصلاح ديمقراطي في مؤسسات وأطر العمل الوطني الرسمية والشعبية بحيث يطال هذا الاصلاح البنى التنظيمية والادارية وآليات العمل ، ويعمق المحتوى الديمقراطي لهذه المؤسسات والأطر سواء على صعيد اتخاذ القرار وتنفيذه ، أم على صعيد التخلص من مظاهر الهيمنة والبيروقراطية والتفرد وتكريس العقل الجماعي في القيادة والتنفيذ .

إننا في الوقت الذي سنسعى فيه إلى ترتيب أوضاع البيت الفلسطيني ومحاولة اخراج القيادة المتنفذة من مستنقع الحلول التصفوية بهدف الحفاظ على القضية الوطنية والوحدة الوطنية ، فإننا بذات الوقت سنعزز تحالف الفصائل المناهضة لمشروع الحكم الاداري الذاتي بهدف احباط هذا المشروع وبهدف التصدي لسياسة الانحراف والاستسلام .

إن الفصائل العشرة المناهضة لمؤامرة التصفية مطالبة بتعميق تحالفها لخوض النضال بلا هوادة لحشد الطاقات والقوى للحفاظ على البرنامج الوطني وذلك من

خلال :

ـ التوجه إلى الجماهير الفلسطينية في كل مكان باعتبارها القوة الحاسمة القادرة على صيانة قضيتها ، التوجه لها لحشدها وتأطيرها وتعبئتها لخوض الصراع بلا تردد ، وإن استعدادات جماهيرنا متوفرة وتتنامى باستمرار وهي تخوض الصراع ضد سياسات الاحتلال بصورة يومية متواصلة .

ـ الحفاظ على حالة الصدام العنفي والعسكري ضد الاحتلال والعمل بكل الوسائل لايقاع اعلى قدر ممكن من الخسائر البشرية والمادية في صفوفه .

ـ التحرك الفاعل والنشط على الصعيد القومي لتفعيل وحشد القوى من أجل مناهضة المشروع المعادي لمصالح وطموحات جماهير الأمة العربية .

إن لقاء الفصائل العشرة الذي ندعو لتعزيزه يستهدف في نهاية الأمر الحفاظ على م. ت. ف وحماية البرنامج الوطني الفلسطيني .

ثالثاً : قرارات الشرعية الدولية :

إن تأكيد الجبهة الشعبية المستمر والتاريخي على خط المجابهة والتصادم مع المشاريع التصفوية ومواجهة نهج الاستسلام ، لا يعني عدم التعامل مع العمل السياسي والتكتيك السياسي ، لأن عيوننا وعقولنا ليست مغلقة وندرك جيداً مرارة وتعقيدات القضية الفلسطينية وتشابكاتها الاقليمية والدولية . لكن أي تكتيك علمي وسليم لا بد أن ينطلق ويتحدد على ضوء جملة من العوامل أهمها ميزان القوى على الصعيد الدولي والعربي والفلسطيني ، والمزاج الجماهيري ، والعامل الذاتي والتحالفات ، والظروف الموضوعية المحيطة .

إن التكتيك لا يعني الانخراط بالعملية السياسية التصفوية الجارية حالياً في واشنطن والقائمة على أساس شطب الحقوق الوطنية الفلسطينية ، ولا يعني دخول أية مساومات سياسية بغض النظر عن طبيعة وشكل ومحتوى هذه المساومات .

إن البديل السياسي الراهن الذي نطرحه في هذه اللحظة السياسية لمواجهة حالة

الانهيار والاستسلام ، هو التمسك بقرارات الشرعية الدولية التي تتماشى مع حقوقنا الوطنية والتي تشكل سلاحاً هاماً في أيدينا ، نستطيع الاستناد إليه في مخاطبة كل العالم .

صحيح أن الشرعية الدولية لا تعطينا كامل حقوقنا التاريخية والمشروعة في كامل الأرض الفلسطينية ، والتي هي حق تاريخي وشرعي لنا . ولكن الشرعية الدولية ، تعطينا حق تقرير المصير واقامة الدولة وحق العودة والقدس وإزالة المستوطنات . فهل نتخلى وبارادتنا عن هذه القرارات الدولية بمفاوضات ثنائية تستبعد وتشطب كل هذه القرارات .

إننا نقول للذين يتهموننا بالعدمية والتحجر ورفض التكتيك لننقل ملف القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم ولنحتكم لقرارات الشرعية الدولية التي تتماشى مع حقوقنا والتي لم نتخذها نحن ، بل اتخذها العالم .

أيتها الأخوات ، أيها الأخوة

أيتها الرفيقات ، أيها الرفاق

إنَّ القيمة الحقيقية لاحتفالنا بالذكرى اليوبيلية الخامسة والعشرين لانطلاقة جبهتنا ، والذكرى الخامسة لاندلاع الانتفاضة ، إن القيمة الحقيقية للاحتفال بمثل هذه المناسبات ، هي أن نستخلص الدروس من مسيرة كفاحنا الماضية ، بهدف رسم البرامج الكفاحية المستمدة من تجاربنا وما أفرزته من استخلاصات وتوجهات .

إننا أمام ظروف ووقائع جديدة تستلزم التفكير الجاد والعلمي والجريء ، باستراتيجيتنا وتكتيكنا ، بأساليب عملنا ومفاهيمنا ، بهدف تثبيت وترسيخ ما برهنت الحياة والتجربة صحته وسلامته ومراجعة ما ينبغي تطويره وتجديده .

فما هي أبرز الدروس التي أفرزتها تجربتنا النضالية كثورة فلسطينية معاصرة ، كجبهة شعبية خلال ربع القرن الماضي من كفاحنا؟

أولاً : الدرس الأول الذي أفرزته التجربة ، هو أن الثورة الفلسطينية يجب أن ترتكز إلى جناحين مترابطين متكاملين ، جناح الداخل وجناح الخارج لكن على أساس أن يتجه

الرأس باستمرار للداخل كحلقة أولى . فبعد اندلاع الانتفاضة وتواصلها واستمرارها حصلت تطورات نوعية ، على صعيد النضال الوطني الفلسطيني ، كان من ابرزها وأهمها الانتقال الموضوعي لمركز ثقل النضال الوطني الفلسطيني إلى داخل الأرض المحتلة . فعلى المستوى الوطني يتركز الصراع الآن داخل الأرض المحتلة ، ومخططات العدو الصهيوني يراد تجسيدها في الداخل من خلال مشروع الحكم الاداري الذاتي ، أي أن صيرورة الصراع ونتائجه ستتوقف على ما سيدور ويجري ، داخل الوطن المحتل خلال الأعوام القادمة ، وهذا ما جعلنا في الجبهة الشعبية نرفع شعار الانتفاضة محور عملنا ، وهذا ما يجعلنا نؤكد اليوم على ضرورة الاستمرار في رفع هذا الشعار ، ومحاولة ايجاد كافة الترجمات ، والخطوات التي تساعد على تجسيده سواء على صعيدنا كجبهة ، أو على المستوى الوطني العام .

لكن الدرس المستخلص هنا ، هو أن التركيز على جناح الداخل لا يجوز أن ينسينا أهمية جناح الخارج ، لأننا لو استعرضنا المسيرة العملية للثورة الفلسطينية المعاصرة لوجدنا أنها مرت بمراحل ثلاث :

المرحلة الأولى وجود الثقل الأساسي للثورة الفلسطينية في الأردن ، والمرحلة الثانية وجود الثقل الأساسي في لبنان ، والمرحلة الثالثة الحالية وجود الثقل الأساسي في الأرض المحتلة ، وفي كل مرحلة من المراحل كنا نعتمد بصورة أساسية على جزء من الشعب الفلسطيني وكان هذا على حساب التفكير الجاد بحشد وتعبئة كافة طاقات الشعب الفلسطيني في كافة أماكن تواجده .

ثانياً : الدرس الثاني الذي أفرزته التجربة ، والذي أعطيه أهمية خاصة ، هو ضرورة الربط بين النضال الوطني الفلسطيني والنضال القومي العربي واعتبار ذلك قضية مفصلية وخطاً أساسياً من خطوط عملنا في المرحلة القادمة ، أي أن التركيز على العامل الوطني والشعب الفلسطيني وخصوصية دوره في مجابهة المشروع الصهيوني ، لا يجوز أن يعني اغفال البعد القومي للقضية الفلسطينية والاعتماد على حركة الجماهير العربية وقواها الطليعية في خوض معركة التحرير . وهنا لا بد أن نتذكر تجربتنا في

الساحة الأردنية واللبنانية والسياسة الخاطئة التي موريست من قبل قيادة م . ت . ف في التحالفات مع القوى التقدمية العربية في هذين البلدين .

إن تأكيدنا على أهمية العامل القومي لا تعني بأي شكل من الأشكال التقليل من أساسية وخصوصية العامل الوطني الفلسطيني ، حتى لا نعود للخطأ الذي وقعنا فيه ما بين عامي ١٩٤٨ ـــ ١٩٦٥ .

إن تسجيلنا لهذا الدرس ـــ البعد القومي للقضية الفلسطينية لا يعني أن الجبهة أو الثورة الفلسطينية ستنوب عن الجماهير العربية في تحقيق أهدافها الوطنية والقومية . إن فهمنا لهذا الخط يقوم على أساس ضرورة التنسيق والتفاعل المستمر مع كافة القوى السياسية التقدمية والقومية والاسلامية العربية المؤمنة بتحرير فلسطين والوحدة العربية . والعمل على ايجاد صيغ عمل تنسيقية فاعلة ، ربما تمهد على ضوء التجربة لعمل مشترك .

ثالثاً : الدرس الثالث ، أهمية وضرورة الترابط الوثيق بين الاستراتيجية والتكتيك ، هذا ما أفرزته تجربة الكفاح الوطني الفلسطيني ، وعلينا الاستفادة من هذا الدرس ، لأن أي استعراض لمسيرتنا السابقة يدلل أن بعض القوى ركزت على الاستراتيجيا وأهملت التكتيك السياسي ، وبعض القوى الأخرى وخاصة القيادة المتنفذة في م . ت . ف وتحديداً بعد خروجنا من الأردن ركزت وغرقت في التكتيك وانتهكت الاستراتيجيا .

إن تغييب التكتيك خطأ جسيم ، ولكن ردة الفعل عليه بالاكتفاء بالتكتيك وضرب الاستراتيجية خطأ جسيم كذلك ، وتغييب العامل الوطني خطأ كبير ، ولكن ردة الفعل عليه باهمال البعد القومي خطأ كبير كذلك .

لا بد من معادلات علمية سليمة تربط بعمق ما بين الوطني والقومي وما بين التكتيك والاستراتيجية .

إنَّ قرارات الشرعية الدولية التي تتماشى مع حقوقنا تشكل أكبر سند وافضل تكتيك يمكن أن نستند إليه في مواجهة مرحلة الانهيار الصعبة .

إنَّ قرارات الشرعية الدولية أخذت في ظل وجود الاتحاد السوفييتي والمنظومة

الاشتراكية ومرحلة الناصرية ، وهذه القرارات بالامكان لقيادة وطنية صلبة ان تربط بينها وبين استمرار النضال من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجي وتحرير فلسطين .

رابعاً : أما الدرس الرابع الذي أفرزته التجربة ، هو أن الاستناد إلى أسلوب الكفاح المسلح ، كان على حساب أساليب النضال الأخرى من نوع العنف الثوري ، والعمل التخريبي ضد العدو ، العمل الانتفاضي والنضال الاقتصادي .

إنَّ هذا الاستخلاص لا يعني بأي شكل من الأشكال التقليل من أهمية وضرورة الكفاح المسلح كأرقى شكل للمواجهة مع الاحتلال ، بل انني على قناعة راسخة بأن كل ما نتحدث به على الصعيد السياسي والايديولوجي والتنظيمي يمكن أن يتعرض لعملية احباط ، ما لم ننجح في معالجة تصعيد الكفاح المسلح ضد العدو الصهيوني من الداخل والخارج .

إن المواجهة الجادة للمشروع الامبريالي الصهيوني واحباط مخطط تصفية القضية الفلسطينية ، ستكتسب مصداقيتها وقدرتها على الفعل في أوساط الجماهير من خلال ايقاع أكبر عدد ممكن من الخسائر في صفوف العدو ومعالجة المصاعب التي نعيشها على هذا الصعيد .

أقول ذلك لأنه برزت في الساحة الفلسطينية بعض الدعوات على ضوء الواقع الصعب الذي نعيشه ــ التي باتت ترى أن الكفاح المسلح انتهى واستنفد أغراضه وبالتالي يجب الانتهاء منه والتوجه للعمل الديبلوماسي والجماهيري . وردي على هذه الدعوات ، أن الكفاح المسلح ضرورة موضوعية نابعة من طبيعة العدو الذي نجابهه ، فالتناقض التناحري مع الاحتلال الذي شرد شعبنا واغتصب أرضنا يجعل من الكفاح المسلح شرطاً أساسياً في نضالنا يفرضه الواقع نفسه ، صحيح يجب أن نرى المتغيرات والتعقيدات الهائلة والظروف الموضوعية الصعبة التي تؤثر على حجم ومدى الفاعلية العسكرية والتراجع الذي نعيشه على هذا الصعيد ، لكن هذا لا يجب أن يوصلنا إلى استنتاجات خاطئة تقلل من أهمية وضرورة الكفاح المسلح ، لكن بذات الوقت ، فإن الدرس الذي يجب أن نستفيد منه هو ضرورة أن لا يكون الكفاح المسلح على حساب

كافة أساليب النضال الأخرى الاقتصادية والسياسية والايديولوجية والانتفاضية والعنفية المختلفة .

هذه هي بعض الدروس الأساسية التي أفرزتها تجربتنا خلال مسيرتنا الماضية ، وليس كل الدروس العديدة والهامة السياسية والايديولوجية والتنظيمية والعسكرية والمالية والجماهيرية التي يجب أن نستخلصها ولا يسعفني الوقت في الحديث عنها .

أيتها الأخوات ، أيها الأخوة

أيتها الرفيقات ، أيها الرفاق

ربما يدور في ذهن بعض الناس ، على ضوء المتغيرات الكبرى والزلازل التي حصلت على الصعيد العالمي والعربي والفلسطيني والواقع الجديد الذي نواجهه ، تساؤلات وأسئلة كبيرة ومعقدة أهمها ، حول شعار وهدف تحرير فلسطين ، وهل مازال ممكناً أم أصبح من أحلام الماضي ؟

إن جوابي البعيد عن العاطفة ، وكإنسان وضعته الظروف في مجرى النضال القومي العربي والوطني الفلسطيني على مدى ما يقارب الخمسين عاماً الماضية ، بكل تجاربها ودروسها واستخلاصاتها ، جوابي الحاسم المستند لقناعة علمية عميقة أن تحرير فلسطين ليست عملية ممكنة تاريخياً فحسب ، بل عملية حتمية ، رغم كل الظروف والتطورات المؤلمة ، لماذا أقول ذلك ، وهل هذه مجرد عواطف وأمنيات لانسان عاش في وطنه ويتشوق للعودة إلى هذا الوطن ، دون أساس علمي موضوعي وذاتي لعواطفه وأمنياته ، جوابي لا . أقول ذلك لأسباب علمية ستؤكد الحياة والأحداث على المدى التاريخي ومهما طال الزمن صحتها وسلامتها

إن اسرائيل جسم غريب في وطننا العربي ورفضته ليس الجماهير الفلسطينية فحسب ، بل كل الجماهير العربية ، وإن طبيعة المشروع الصهيوني تقوم على التوسع والعدوان ، ولهذا فهو متصادم مع كل ما هو وطني وتقدمي في عالمنا العربي ، ولا يمكن أن يكون إلا نقيضاً لآمالنا ومصالحنا وأهدافنا ، لا مجال أمامنا إلا النضال لاجتثاثه ، هذا هو منطق التاريخ الذي أفرزته تجارب الشعوب التي تعرضت للاضطهاد والعدوان .

إن قضيتنا عادلة ، وهذا ما يفسر اصرار شعبنا وتشبثه المستميت في الدفاع عن حقوقه لأنه يدرك عدالة قضيته ، ويدرك حجم الظلم والعدوان الواقع عليه .

إن الجماهير العربية وامكانات الأمة العربية الهائلة والكامنة لن تبقى مغيبة وضائعة ومحجوزاً عليها إلى الأبد ، بل ستدرك كل الشعوب العربية أن الوحدة العربية ضرورة وحاجة موضوعية ، لأنها ستتلمس أن انعتاقها وتحررها لا يمكن أن يكونا إلا من خلال استقلالها وتحررها الاقتصادي والسياسي ووحدتها ، وهذا موضوعياً لن يتحقق إلا من خلال التصادم مع المشروع الصهيوني . فهل يراودنا أدنى شك حول كيف ستنتهي عملية الصراع التاريخية بين ارادة عادلة لشعب وأمة مصممة على انتزاع حقوقها وبين غزوة صهيونية استعمارية طارئة .

إنني أدرك جيداً المصاعب الهائلة والكبرى التي يعيشها شعبنا في اللحظة السياسية الراهنة ، وأدرك أن حالة من اليأس والاحباط والتشاؤم تطالان قطاعات من الناس المنظمة وغير المنظمة ، وحتى بعض القوى السياسية ، لكنني أدرك أيضاً وبكل ثقة أن الجماهير الفلسطينية ، التي فجرت الثورة الفلسطينية المعاصرة وفجرت الانتفاضة ، والجماهير العربية التي فجرت ثورة اليمن وثورة ٢٣ يوليو والثورة الجزائرية لن تبقى صامتة ومحجوزاً عليها إلى الأزل .

إن الشعب الفلسطيني صاحب أطول انتفاضة في التاريخ ، سيتمكن من الاستمرار بكفاحه ، وسيتمكن من اسقاط أي قيادة تتخلى عن أهدافه وطموحاته وحقوقه التي قدم في سبيلها أغلى التضحيات ، وسيتمكن من الاستمرار في حمل الراية بهامات مرفوعة إلى أن تتحقق كامل أهداف شعبنا في تحرير فلسطين كل فلسطين .

أيتها الأخوات والأخوة

نحتفل هذا العام في ذكرى انطلاقة جبهتنا ونحن على أبواب انعقاد مؤتمرنا الوطني الخامس ، إنني أجدد العهد والالتزام العميق أمامكم وأمام كل جماهير شعبنا وأمتنا العربية بأننا سنبقى أوفياء لمبادئنا وأهدافنا التي ضحت من أجلها الأجيال المتلاحقة إلى

ان يتحقق النصر والحرية والاستقلال ويرفرف علم فلسطين فوق القدس عاصمة دولتنا الأبدية .

— التحية كل التحية لانتفاضة شعبنا العملاقة في ذكراها السنوية الخامسة .

— التحية كل التحية لأمهات الشهداء والجرحى والمعتقلين .

— التحية لاسرانا في سجون الاحتلال الصهيوني الغاصب الذين حولوا السجون إلى مدارس وقلاع للكفاح والصمود والاصرار والتحدي .

— التحية كل التحية لرفاقنا الصامدين في الأرض المحتلة الذين رفعوا رأس الجبهة الشعبية عالياً وكادوا يعانقون السماء .

— تحية لجماهير الشعب اللبناني البطل وجبهة المقاومة الوطنية والاسلامية اللبنانية .

— تحية لكافة فصائل الثورة الفلسطينية المكافحة .

— تحية لكافة فصائل حركة التحرر الوطني العربية .

— تحية لكافة فصائل حركة التحرر العالمية .

— تحية لكوبا الصامدة ، شوكة في حلق الامبريالية الاميركية .

— تحية للقوى المكافحة من أجل التقدم في روسيا وكافة الجمهوريات السوفيتية السابقة .

— تحية للبلدان الاشتراكية التي ما زالت صامدة رغم كل التحديات والعواصف .

— تحية لكل الشرفاء والمكافحين من أجل الخير والحق في العالم أجمع .

المجد للشهداء

النصر أو الشهادة

والسلام عليكم ■■

أسطورة « نهاية الايديولوجيات » أم بداية صراع تحرري جديد

خلقت المستجدات الدولية مناخاً ايديولوجياً وسياسياً مسيطراً عنوانه : نهاية الايديولوجيا ، أو نهاية الايديولوجيات في شكلها القديم . وإذا كان هذا المناخ قد بدأ يتصاعد ويشتد منذ بداية تفكك المعسكر الاشتراكي السابق ، فإن حرب الخليج شكلت البداية الرسمية لمثل هذا المناخ ، حيث بدت الايديولوجيات الرأسمالية ــ الامبريالية ، وفي شكلها الأمريكي خاصة الايديولوجيا المنتصرة تاريخياً ، والصالحة لكل المجتمعات والأزمنة . الأمر الذي دفع « فوكوياما » إلى الاعلان عن نهاية التاريخ . تعلن هذه الايديولوجيا الانتصار النهائي والأخير للرأسمالية ، غير أنها تعلن أولاً بأبدية الوضع العالمي الراهن ، كما لو كان زمن التحرّر والمقاومة قد انتهى إلى الأبد ، فيبقى المنتصر منتصراً والمهزوم مهزوماً ، وتصبح أفكار الاشتراكية والتحرر القومي والوطني ذكرى من ذكريات التاريخ ، إن لم تبدُ فكرة التحرر الانساني تمرداً على القوانين الموضوعية للتاريخ .

وفي حقيقة الأمر ، فإن فكرة نهاية الايديولوجيا ليست جديدة أبداً ، فقد كتب عنها مجموعة من المفكرين منذ بداية الستينات . وما كتبوه يختلف عن الأفكار السائدة بعد ولادة « النظام الدولي الجديد » ، فقد كان المقصود سابقاً تجاوز الآلة ، أو بشكل أدق الثورة العلمية ــ التقنية لكل موقف ايديولوجي ، إذ أن التطور التقني هو الذي يحدّد تقدم المجتمعات أو تأخرها ، أما ما هو مسيطر اليوم فيتوافق مع ميزان القوى الذي خلقه « النظام الدولي الجديد » ، لأن المقصود بنهاية الايديولوجيا هي انتهاء ايديولوجيا الثورة القومية والاشتراكية وانتصار وثبات الايديولوجيا المختلفة عنها ، أي ايديولوجيا الرأسمالية والتبعية . وحقيقة الأمر أيضاً أن ما نشهده اليوم هو استمرار للصراع الايديولوجي القديم ، مع فرق أساسي يتمثّل في الانتصار المؤقت لاحدى الايديولوجتين ، ويتمثّل أيضاً في ارتباك وضعف وتشتت قوى التحرر ، الأمر الذي جعلها تخوض صراعها الايديولوجي على أرضية الخصم ، ذلك أن ميزان القوى الدولي ، بمعناه الشامل ، يحرمها من المبادرة ويضع ردودها في اطار ردود الفعل ، يضاف إلى ذلك أن ردود الفعل هذه قد تكون مضطربة ومشوشة وقلقة .

وإذا كان الاضطراب والقلق في خوض الصراع الايديولوجي اليوم ، يعطيان انطباعاً يتسم بالسلبية ، فإنهما يشيران أيضاً إلى أمر ايجابي . فلقد زعزع سقوط الاتحاد السوفييتي الكثير من البديهيات والمسلمات وخلخل اليقين ودفع بأطراف كثيرة إلى العزلة والانكفاء والهروب . وأصبح من الضرورة بمكان الوقوف طويلاً ، وبتشكل عقلاني هادىء ، أمام تاريخ الأفكار الثورية وأمام الممارسات المختلفة التي كانت تنتمي إلى هذه الأفكار . وقد يكون طيشاً وغباء وهروباً من المسؤوليات التاريخية أن نتابع التعامل مع الأفكار من دون نقد أو مراجعة ، بعد انهيار تجربة اشتراكية عاشت سبعين عاماً ، وبعد مسلسل الهزائم الذي لحق بحركة التحرر العربية وبجملة من حركات التحرر في العالم . إن الانطلاق من تاريخ الحركة الثورية العربية ، وهي جزء من حركة الثورة العالمية ، شرط لا بدّ منه لاستئناف القتال من أجل التحرر الانساني الشامل . وأمر كهذا يستلزم اعادة قراءة المعطيات النظرية ، لمعرفة ما تقادم وما ظل صالحاً ، ولمعرفة مواقع الخلل والتطبيق والممارسة ، غير أن ما تجب دراسته بشكل معمّق وواضح ، هو التاريخ الفعلي الممارس للحركة الثورية العربية ، ذلك أن الأفكار الصحيحة لا تأتي من النظريات ، حتى وإن كانت عظيمة ، إنما تأتي من قراءة الممارسة وتأمل نتائجها وآثارها .

وبهذا المعنى ، فإن استئناف النضال في الشروط العالمية والمحلية الجديدة يستلزم قراءة مزدوجة ، أو قراءة ثنائية البعد : فهو يفرض قراءة المبادىء النظرية ، من وجهة نظر نقدية ، لمعرفة القديم والجديد في مفاهيم القومية والاشتراكية والتحرر ، كما يأمر أيضاً بتاريخ الأحزاب والحركات السياسية التي قاتلت في سبيل تحقيق هذه المفاهيم وفي هذا تكون الأفكار الجديدة المطلوبه نتيجة للجدل التاريخي بين الفكر والممارسة ، اي يصبح تاريخ الممارسات السياسية ، بعد معالجته النقدية ، جزءاً من الأفكار الجديدة ، فالمقاتل ينطلق من التاريخ الذي كوّن البشر وصاغه الصراع الطبقي بين البشر ، ذلك أن دراسة هذا الصراع الفعلي والمشخص في كل مرحلة من مراحله المهمة الحاسمة ، هو الذي يساعد على بناء أفكار جديدة ، تعود الممارسة فتصححها

باستمرار . اين تكمن مواقع الضعف في الحركة الشعبية خلال ثورة ١٩٣٦ ؟ ما الأسباب الاجتماعية والسياسية التي قادت إلى الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٩ ، وما الأسباب التي أدّت إلى انهيارها ؟ لماذا بدا الفكر الماركسي ضرورة بعد هزيمة حزيران ؟ ما الأسباب التي حالت دون تحقيق وحدة فاعلة بين فصائل اليسار الفلسطيني ؟ لماذا لم تستطع الانتفاضة ، رغم دورها المجيد ، أن تؤثر على البنية الداخلية لـ م.ت.ف ؟ هل ما تزال الطبقة العاملة مؤهلة تاريخياً لقيادة المشروع الثوري ؟ ما شكل التحالفات في مراحل التحرر الوطني ؟ ما هي اسباب البيروقراطية وكيف يمكن حصار آثارها ؟ أسئلة كثيرة تطرح نفسها اليوم ، ولا تصدر عن الكتب النظرية بل تمليها وتفرضها الممارسة ... إن استخلاص الأسئلة النظرية من الوقائع المشخصة يحرّر النصوص من كل أشكال القداسة المزعومة بقدر ما يحرّر العقول ويجعلها قادرة على المساءلة والحوار والاختلاف ، بل يعلم هذه العقول المعنى الحقيقي للنقد والنقد الذاتي والبحث المستمر عن اجابات صحيحة للأسئلة المستجدة .

ولعل الأسئلة المتواترة حول مفاهيم المجتمع المدني ، الديمقراطية ، العقلانية ، تعريب الماركسية ، مصير الهوية الوطنية ، تصاعد الهيمنة الامبريالية ــ الصهيونية .... يضع العقل الثوري اليوم في دائرة من القلق والتوتّر والحوار مع الذات والأفكار والوقائع التاريخية . وبقدر ما يدفع هذا القلق إلى التحرّر من الايمانية العمياء واليقين الساكن فإنه يحض الفكر المسؤول على النقد والتجديد ، وعلى انتاج معارف جديدة تجعل النظرية جزءاً من الحياة والأفكار أداة للصراع ويفرض وقائع الحياة العملية مصدراً للأفكار ومرجعاً لها .

ويمكن للقلق ، في شروط المتغيرات الدولية الراهنة ، أن يدفع بـ « الفكر البيروقراطي » إلى التخاذل والتفكك . غير أننا نتحدث هنا عن القلق الخلاّق الذي يلازم المناضل التحرّري الحقيقي المتعامل مع التاريخ كمعركة مفتوحة بين قوى الظلام والاضطهاد والاستغلال وقوى الخير والعدالة والتقدم . ولذلك ، فإن القلق المبدع لا يتخلّى عن القيم والأفكار الثورية ، إنما يسعى إلى تنقيحها وتصحيحها وترهينها ، الأمر

الذي يعني أن الموقف من الصهيونية والقومية والاشتراكية والماركسية والحزب الثوري والمجتمع المدني ... لا يزال صحيحاً . وقد يقال إن التمسك بهذه المفاهيم اغراق في ايديولوجيات ولّى زمانها غير أنه يمكن لنا أن نردّ على هذا القول الزائف بحقائق متعددة . إن أسطورة « نهاية الايديولوجيا » الرائجة في سوق ليبرالية رأسمالية زائفة هي ايديولوجيا بامتياز لكنها هي ايديولوجيا المنتصر الذي يعتقد أنه دفن الايديولوجيا الأخرى إلى الأبد . ويمكن لهذه الايديولوجيا المنتصرة ، وبسبب انتصارها ، أن تقدم نفسها كايديولوجيا عالمية ، تصلح لكل المجتمعات والأزمنة ، الأمر الذي يجعلها تقدم نفسها كشيء فوق الايديولوجيات ، مع أنها ايديولوجيا طبقية محدّدة الهدف والمضمون والوظيفة ، ووظيفتها نشر أوهام المساواة في العالم الحقيقة الثانية أن الثوري المؤمن بقضيته لا يتعامل مع المبادىء الكبرى بمعايير الانتصار والهزيمة ، بل بمعايير المقاومة والدفاع واحترام الصحيح . وتقول الحقيقة الثالثة أن شوق الانسان إلى التحرر ، والقتال من أجله ، قديمان قدم اضطهاد الانسان واستغلاله ، وإلا فكيف نفهم ثورة سبارتاكوس والقرامطة والثورات الفلاحية المتعددة والثورة الفرنسية وثورة عرابي في مصر والقسّام في فلسطين وثورة الريف التي قادها عبد الكريم الخطابي ؟ وكيف نفهم معنى السجون والاقطاعيات وابادة الهنود في أمريكا وتدمير الحضارات الأفريقية ؟ لقد قاتل الانسان المضطهد دوماً من أجل تحرره ، وفي مراحل التاريخ كلها ، وكلما تغيرّت ملامح التاريخ غيرّ المقاوم وسائل قتاله وصقلها . وما نعيشه اليوم يمثل مرحلة جديدة من مراحل التاريخ يحتاج إلى أدوات قتالية جديدة ، فالمطلوب ليس التخلي عن القيم التحررية بل صياغة الوسائل الموائمة للدفاع عنها ، وفقاً لميزان القوى في كل مرحلة من مراحل الصراع .

إن جوهر الصهيونية لم يتغيرّ، فلا تزال عنصرية استيطانية وظلامية تمجدّ فلسفة القوة وتأخذ بمقولة الانسان الأعلى، الانسان الأدنى... وما تغيرّ هو ميزان القوى داخل الصراع بين الصهيونية والقوى التحررية العربية، فدعم المعسكر الاشتراكي زال بزوال المعسكر، كما أن حركة التحرر العربية لم تستطع اصلاح ذاتها بعد هزيمة حزيران،

وتابعت ضعفها وتفككها إلى درجة أصبح من الصعب فيها الحديث الفعلي عن: «حركة التحرر العربية» بل أن التضامن العربي الرسمي لا وجود له، كما أن «الثورة الفلسطينية» لم تستطع، لأسباب متعددة، أن تشكل أداة لاستنهاض عربي شعبي، ذلك أن القوة المتنفذة فيها تشكل امتداداً للسياسات العربية الرسمية المسيطرة. ولهذا تبدو «حركة التحرر العربية» جزءاً من الماضي، أو إرثاً يتداعى ويتفكك وينطفىء، لأن هذه الحركة لم تستطع أن تجدّد ذاتها، وتقوم بدراسة المشروع الوطني الشعبي بشكل مشخص. فهذا المشروع، رغم نواياه الحميدة، انغلق في أطر نخبوية ضيقّة همشّت الحركة الشعبية إلى حدود الإلغاء.

في مقابل ذلك دافع المشروع الصهيوني عن ذاته بوضوح، وأرسى مؤسسة عسكرية حديثة وفاعلة، مدعوماً من الرأسماليات العالمية ومن الولايات المتحدة خاصة، ولقد جاء انهيار الاتحاد السوفييتي وحرب الخليج ليقدما دعماً جديداً إلى الكيان الصهيوني، وليقدما أيضاً تبريرات جديدة لدعاة الاستسلام والهزيمة، ليست الصهيونية عدواً للشعب الفلسطيني ، بل هي أداة فاعلة لمحاربة التحرّر العربي ، في وجوهه كلها ، لأن دورها هو الحفاظ على الواقع الراهن الموائم للمصالح الامبريالية ، ولجم وتهديد وضرب كل مشروع عربي تحرري . وكانت حرب حزيران صورة واضحة لوظيفة اسرائيل ودورها **وعلى هذا فإن القتال ضد الصهيونية لا ينطلق من ايديولوجيا مجردة تقاتل ايديولوجيا أخرى محددة المعالم ، إنما هو دفاع عن حق الإنسان العربي في الحرية والكرامة والاستقلال الوطني .**

وقد يرى البعض أن زمن القوميات قد ولّى، معتمداً في ذلك على مقولة «حسن الجوار التي يقول بها النظام الدولي الجديد»، إذ النزاعات الاقليمية تسوّى في إطار «القرية العالمية» المزعومة. وهذا الإطار مزعوم ومضللّ، فليست العدالة والمساواة هي التي تحكم العالم. فما يحكمه فعلاً هو ميزان القوى الذي يفرض السيطرة والخضوع والولايات المتحدة تمثل هذا الميزان اليوم. وقد ظهر زيف المقولات الايديولوجية الامبريالية في شعار «الشرعية الدولية»، الذي طبق على العراق إلى حدود التدمير،

وظلت اسرائيل حرة وطليقة في سياستها العدوانية إزاء الشعب الفلسطيني والشعوب العربية عامة. وحقيقة الأمر أن افتراض «القرية العالمية» المزعوم هو تعبير عن تطلع الامبريالية العالمية إلى تفكيك الهويات القومية والثقافية في العالم المستضعف كي يندرج تابع في السياسة العالمية، وظيفية التخلي عن ثرواته وسيادته ولعب دور المستهلك التابع لبضاعة تزيده فقراً وحرمانا. من هنا فإن التمسك بمفهوم القومية العربية ضرورة تاريخية، فهو محاربة للنزعات الطائفية التي تضعف المجتمع، هو دفاع عن الهوية الثقافية التاريخية، ومحاولة لاستنهاض الشعوب العربية للدفاع عن حقوقها. ولعل مفهوم الهوية القومية يطرح أمامنا مباشرة مسألة «التطبيع في الشرق الأوسط»، والذي جوهره تأمين السيطرة الاسرائيلية وتلغيم وإضعاف المشروع التحرري العربي. فهذا المشروع لا معنى له إلا في تصديه للمشاريع الاستعمارية، وفي هذا التصدي القديم والمتجددّ تتجددّ معاني القومية العربية، وتظهر واضحة الاسباب التي تدفعها إلى الأمام والأسباب التي تخلخل جذورها، فقتال الحركة الشعبية في ظروف حرة وديمقراطية هو في أساس النهوض القومي الجديد المرغوب. فالقومية لا تتعرّف، وبشكل شكلي، باللغة والثقافة والتاريخ والأرض المشتركة.. إنما تتعرّف في قدرة الشعوب العربية على تنظيم ذاتها في فعل سياسي يومي يقاتل من أجل حياة جديدة تحقق الاستقلال والسيادة والحرية والكرامة. ويمكن للمنطق التقليدي أن يحوّل القومية العربية إلى كلمة لا معنى لها، حين يكتفي بتعديد عناصر القومية المدرسية، ويحاصر الحركة الشعبية ويلغي دورها، في حين أننا نعتقد أن الصراع الاجتماعي والسياسي، في وجوهه الطبقية، هو الحامل الرئيسي لمعنى القومية العربية. فبعد السقوط التاريخي للسلطات العربية المسيطرة أصبحت الحركة الشعبية هي الممثل الوحيد الممكن للقومية العربية.

وما ينطبق على مفهوم القومية ينطبق بدوره على مفهوم الاشتراكية، خاصة أن انهيار المعسكر الاشتراكي ظهر انهياراً وتكذيباً لمفهوم الاشتراكية، إن الدفاع عن الاشتراكية في المنظور الثوري، لا يعود إلى اعتناق نظرية، مهما كان شكلها، إنما يعود إلى ضرورة موضوعية قائمة داخل شروط الصراع المتتالي من أجل تحقيق التحرر العربي،

فالقوى المسيطرة على العالم العربي، في شكلها الامبريالي وفي أشكال الادارات المحلية التابعة لها، لا تحاصر المشروع التحرّري العربي، في تعييناته السياسية، إلا لتأمين استمرار سلطات سياسية تسمح للقوى الأجنبية بنهب خيرات العالم العربي وإفقار الانسان، بل قمع هذا الانسان وتجهيله كي يظل صاغراً وعاجزاً، وعلى هذا فإن القتال من أجل التحرر القومي، هو في الوقت ذاته، قتال من أجل الاشتراكية. بل يمكن القول إن القتال ضد الامبريالية والصهيونية والقوى الرجعية العربية، كما الكفاح من أجل التنوير وانهاض الانسان العربي ومحاربة النزوعات الاقليمية والطائفية هو قتال واحد، معركة واحدة ذات وجوه متعددة. هذه المعركة ذات الأبعاد المتعددة تجعل من الاشتراكية أفقاً ضرورياً، لأن الأنسان العربي لن يتجاوز اغترابه، إلا إذا مارس حريته اليومية في حكم ديمقراطي وشعبي يلبي السيادة الوطنية، وإلا إذا شعر أنه مالك لثروات بلاده، وأنه متمتع بهذه الثروات . على هذا فإن مفهوم الاشتراكية لا يقرأ في عالم الأفكار ، أو في إطار الحداثة، الأُصالة، أو في مدار الايديولوجيات المحلية والعالمية، وإنما يقرأ، وبكل بساطة، في إطار الضرورة التاريخية الرافضة للاغتراب المتعددة الاشكال.

ولأننا ننطلق من الحاجات اليومية الفعلية للانسان العربي، وأحد وجوهه الانسان الفلسطيني، فاننا نتمسك بالماركسية النقدية، من حيث هي منهج علمي في تحليل الظواهر الاجتماعية والوطنية قائم على قانون لا يمكن نقضه هو: الصراع الطبقي. فهذا القانون ليس اختراعاً أو ابتكاراً مصطنعاً، إنما هو نتيجة لاستقراء الحركة التاريخية.

وسواء كان ماركس قد قال بهذا القانون، أم لم يقل به، فإن قراءة التاريخ العربي، الحديث كما القديم، وقراءة التاريخ الوطني الفلسطيني تظهران صحة هذا القانون، ويمكن للمناضل القريب من الكفاح اليومي أن يكتشف لوحده وجود الطبقات الاجتماعية، وأن يكتشف أنه لا وجود لهذه الطبقات إلا في صراعها، من أجل تحقيق مصالح معينة، ولهذا، فإن الوعي الطبقي عنصر لا غنى له في الفعل السياسي الصحيح، ومن دون هذا العنصر لا يمكن فهم اسباب هزيمة ثورة ١٩٣٦ في فلسطين، ولا ادراك الارتباك

الفلسطيني القائم في زمن « عملية السلام » المفترضة. وكما هو الحال في فكرة الاشتراكية، فإن الرجوع إلى الماركسية لا يشكل هدفاً في حد ذاته، لأن التعامل مع الماركسية، كما هو الحال مع كل الموروث الوطني العربي، يهدف إلى صياغة سياسة صحيحة تسهم في انتصار قضية التحرر العربية، وانتصار القضية الفلسطينية، التي هي جزء لا يتجزأ من قضية التحرر العربية. وإذا كان الوعي الطبقي المحافظ يتحدث، وبسبب طبقيته، عن صراع مزعوم يدعى الصراع الفلسطيني ــ الصهيوني، أو الصراع الفلسطيني ــ الاسرائيلي، أو ربما الصراع العربي ــ الاسرائيلي، فإننا، ومن وجهة نظر قومية وطبقية، نقول بـ : الصراع العربي الصهيوني ــ الامبريالي، لأن اسرائيل، في التحليل الأخير، ليست إلا أداة من أدوات السياسة الامبريالية.

إن طرح مسائل القومية والاشتراكية والاغتراب والتحرر تقود مباشرة إلى مسائل تابعة لها حيث مسألة الديمقراطية، التي هي الشرط الضروري لتحقيق مجتمع مدني يتسم بالعقلانية وبالوعي الوطني، أو يتسم بوعي ديمقراطي اجتماعي يسمح بتعددية الفكر، وبالاختلاف والتناقض، ذلك أن المجتمع الساكن والاحادي الرأي مجتمع ميت ولا حراك فيه.. وما نشهد اليوم من ضعف المجتمع العربي، والحروب الأهلية السافرة أو الكامنة فيه، وتراجع دور الثقافة الوطنية، وتنامي النزعات اللاعقلانية، كل ذلك هو نتيجة لغربة الشعب عن السلطة السياسية. فحتى يكون المجتمع حيّاً وفاعلاً، ويتعامل مع قضاياه بمفاهيم الوطن والوطنية والواجب والمسؤولية، ينبغي أن تكون السلطة السياسية فيه تعبيراً فعلياً عن ارادة جماعية، تمارس الديمقراطية السياسية والاقتصادية والفكرية، وتحترم القانون وارادة المجتمع. واصلاح هذا الواقع يجعل من مفهوم الحزب السياسي ضرورة، فالطليعة السياسية ــ الفكرية هي التي أطلقت في العالم العربي عصر النهضة والمشروعين القومي والاشتراكي، وهي التي ساهمت في بلورة وتطوير الحركة الوطنية الفلسطينية.

إن حديث الديمقراطية والعلمانية والحركة الشعبية ينطبق على الواقع الفلسطيني رغم خصوصيته، كما ينطبق على العالم العربي. إن تغييب الديمقراطية أو تصغيرها هو

الذي ولّد سلطة ادارية فلسطينية متنفذة تحتكر المؤسسات وتطبق مفاهيمها السياسية من دون أن تأخذ بالرأي الجماعي المتمثّل، شكلياً، في منظمة التحرير. وهذه النزعة المتفردة تقفز في اجتهادها السياسي فوق طموحات وتطلعات الحركة الشعبية الفلسطينية، التي عبّرت عن ابداع حقيقي وشجاعة عالية في الانتفاضة الجارية. ولذلك فإن الدعوة إلى دمقرطة م. ت. ف لا تعني الدفاع عن تطلعات فئوية ضيقة، إنما هي احترام لتراث الحركة الشعبية الفلسطينية المقاتلة، واستجابة لدروس العقل والتاريخ. ومهمّة تاريخية وضرورية كهذه تحتاج إلى توحيد جهود كل القوى الوطنية الفلسطينية المعنية بحل صحيح وعادل للقضية الفلسطينية، والمعنية بتجاوز ودحر كل المحاولات الرامية إلى تهميش القرار الوطني الشعبي المستقل. والحديث عن فعل سياسي فلسطيني ديمقراطي وفاعل يتضمن الدعوة إلى منظور علماني وموضوعي للعالم، إذ لا يمكن الدفاع عن قضية وطنية، تعاني من استعمار عنصري واستيطاني، إلا باستنهاض القوى الوطنية الفاعلة كلها، الأمر الذي يجعل مفاهيم القومية والوطن والمواطنة مرجعاً لكل فعل سياسي مسؤول. وعلى الرغم من اختلاف الاجتهادات وتعدد المراجع الايديولوجية في الساحة الفلسطينية، وهي ظاهرة موضوعية وصحيّة، فإن على هذا الاختلاف أن يجد مرجعه في المصلحة الوطنية الشاملة، بعيداً عن الحسابات الصغيرة والخاسرة.

إن الرد على عصر « نهاية التاريخ » الذي يسوّغ الاستسلام والهزيمة يكون بالرجوع إلى تاريخ ايديولوجيات حركة التحرر العربية والعالمية، التي تقوم مكوّناتها على الهوية القومية والثقافة الفاعلة، والتطلع إلى الاشتراكية أفقاً، فزمن « السلام الأمريكي » لا يلغي الايديولوجيات التحررية، إنما يجبرها على أن تعيد صياغة ذاتها نقدياً، آخذة بعين الاعتبار النجاحات الماضية التي أنجزتها، والاخفاقات الباهظة التي مُنيت بها،

وناظرة بتأمل وهدوء إلى المتغيرات الدولية، كي تكون بعد تجددّها وتجذيرها قادرة على مواجهة عالم جديد أكثر شراسة وغبناً وظلماً، فما « نهاية الحرب الباردة » إلا بداية لحرب جديدة تحاول فيها الامبريالية العالمية، واهمة، أن تجعل من صمت الشعوب المضطهدة وعجزها قانوناً أبدياً، يضع نهاية وهمية للتاريخ التحرري الانساني الشامل.

دائرة الثقافة والاعلام
آذار ١٩٩٣

في هذه الحوارات الثلاثة يلقي الرفيق الدكتور جورج حبش أضواء على الواقع الفلسطيني اليوم، والمسائل القريبة منه والمؤثرة عليه، عربية ودولية، بدءاً بما يدعى عملية السلام الراهنة.وقضايا الانتفاضة، وصولاً إلى الاجتهادات السياسية الفلسطينية المختلفة، ولا تصدر أهمية هذه الأفكار عن خبرة الرفيق حبش المتراكمة فقط، بقدر ما تأتي عن الضباب والارتباك المحوّم على واقعنا اليوم.

نلمس في هذا الحوار إنارة وتحريضاً، حيث الإنارة تشرح الوقائع بلا أوهام، والتحريض دعوة سافرة إلى تأمل الواقع الراهن والتأثير الكفاحي عليه، من أجل فتح أفق جديد للنضال الفلسطيني في بعديه الوطني والقومي...